الرابطة ميثاق

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة • الثمن : 3 دراهم

السنة 35 ـ العدد 971 الجمعة 12 شوال 1422هـ ـ الموافق 28 دجنبر 2001م

كلمة العدد

الحوار البناء نتائجه محمودة

وجه أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس دام عزه وعلاه رسالة إلى المشاركين في ملتقى حوار الأديان الذي انعقد في ابروكسيل في موضوع «سلم الله في العالم» مؤرخة في 2 شوال 1422 هـ موافق 18 دجنبر 2001 تلاها على المؤتمرين وزير جلالته في الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري وضح فيها جلالته ما يدعو له الإسلام من نشر السلم والدفاع عن حقوق الانسان بواسطة الحوار البناء وبعث المحبة والإخاء بين أبناء البشرية .

بصفة عامة، فديننا ـ كما يعرف من درسه ـ وتعمق في مغازيه وأهدافه النبيلة دين الرحمة وزرع المحبة في النفوس يدعو إلى التقارب والتآخي بين المجتمع البشري، دين الحوار الهادف لا إكراه فيه ولا تزمت ولاتطرف ولا كراهية ولا عنف، دين الأخلاق والمعاملة بالتي هي أحسن، دين الدعوة إلى الله باللطف والاقناع بالحجة البالغة. فمنهاج الإسلام واضح ليله كنهاره يدعو الانسان لمساعدة أخيه الانسان ويأمره بالنصح والوضوح وعدم النفاق والشفافية في ممارسة الأعمال فكل من يلتزم سلوك الدين الإسلامي في مظهره ومخبره يبتعد كل البعد عما يحدث الصراعات بين الأفراد والجماعات فهدف الإسلام تماسك أفراد المجتمع على تقوى من الله ورضوان.

يأمر بالعدل بمعنى الكلمة والإحسان وينهى عن كل منكر وفحشاء .

وإن كل عمل يهدي إلى السلم ويشجع التوافق وينشر الأمن ويزيد في المحبة بين أفراد الانسانية تحت ظل العدل والمشروعية الحقة وذلك ما عمل على تحقيقه المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه لما له من حكمة بالغة وعبقرية نادرة وبعد في النظر . وإن مناهضة الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين بالأسلوب الحكيم المجدي لهو أفضل وسيلة وأنجع عمل لتعميم الأمن والسلام بين شرائح هذا المجتمع . وهذا ما يدعو له أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعزه الله ونصره .

ولاشك أن الحوار الصادق المبني على أسس العدل نتائجه محمودة وإن ما تضمنته الرسالة الملكية السامية من توضيح شاف للمنهاج الإسلامي في حواره الرحماني السليم ومحافظته على القيم والثوابت التي تحيط الانسان بسياج من التكريم ذلك التكريم الذي وضحه الكتاب وبينته سنة جد أمير المؤمنين محمد، صلى الله عليه وسلم، أقول: إن ما جاء في الرسالة الملكية أفرز للعالم ما يوليه الإسلام من عناية لحقوق الإنسان وما يحرص عليه من تشجيع للحوار البناء قصد إحقاق الحق ونشر السلام والدفاع عن المشروعية بصدق وإيمان.

● فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس ـ الأمين العام بالنيابة

أمير المؤمنين يقول في ملتقى حوار الأديان ببروكسيل: «إن أجدر الناس بالحوار اليوم لهم الذين يشتركون في الإيمان بالله الواحد، وبالكتب السماوية المنزلة التي أدانت الظلم والعدوان في كل صورهما داعية إلى التآخي والتضامن في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة».

تعريف الجرح والتعديل

موقف فقهاء الشريعة من التلقيح الصناعي

سلطان العلماء
العز
عز الدين
عبد العزيز بن عبد السلام

(الحلقة: السادسة)

رئيس التحرير

وذات يوم طلع الشيخ عز الدين إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة،فشاهد العسكر مصطفين بين يديه، وقد خرج على قومه في أبهة وزينة، وما إن رآه الشيخ في حالته تلك حتى ناداه:

ياأيوب، ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور. فقال السلطان:وهل جرى ذلك؟

قال الشيخ: نعم الحانة الفلانية تبيع الخمور وغيرها من المنكرات.

وأخذ الشيخ يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون: فقال السلطان: ياسيدي هذا أنا ماعملته هذا من زمان أبي.

فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة؟

فأمر السلطان بإغلاق الحانات في جميع نواحي القاهرة.

وبعد أن انصرف السلطان سأله أحد تلاميذه عما فعله فقال الشيخ:

رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لكي لاتكبر نفسه فتؤذي الناس.

فقال التلميذ:

.أما خفته؟

قال الشيخ: والله يابني لقد استحضرت في تلك اللحظة هيبة الله تعالى.

وبقدر ماكان الشيخ عز الدين حريصا على استتباب دولة العلم والأخلاق والايمان كان في نفس الوقت يدعو إلى الجهاد وطرد الأعداء من بلاد الاسلام، وكان على رأس المجاهدين في معركة المنصورة بمصر عندما زحف عليها الصليبيون بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع وانتصر المسلمون، وسقط ملك فرنسا أسيرا لدى المجاهدين وعاد الشيخ إلى القاهرة.. وعاد الشيوخ إلى حلقاتهم والجميع يطالبون ملوك المسلمين في كل البلاد الاسلامية ليواجهوا خطر الفرنج وخطر التتار. وذات صباح روعت الدنيا باستيلاء التتار على بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية، وألقوا بمكتبتها العامرة في ماء دجلة لتختلط الكتب بأشلاء العلماء والفقهاء وآلاف الضحايا الذين قتلهم التتار في وحشية لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل.

ومن جديد يطلق الشيخ عز الدين صيحته إلى الملوك والأمراء العرب والمسلمين أن يتفقوا فما استباح التتار أرضهم وأعراضهم في العراق إلا لأنهم تفرقوا.

وكان على عرش مصر أثناء زحف التتار على مصر السلطان قطز فجمع الأمراء والأعيان والعلماء ليتشاوروا في أمر غزو التتار، ورأى السلطان أن الحرب تقتضي مالا كثيرا، وخزانة الدولة خاوية، فلابد من فرض ضرائب جديدة على الرعية لتجهيز جيش قوي يصد زحف التتار لكن الشيخ عز الدين اعترض عليهم وقال:

إذا طرق العدو بلاد الاسلام وجب قتالهم، وجاز أن لايبقى في بيت المال شيء من السلاح والمروج الذهبية والفضية والتحف وأن تبيعوا مالكم من الحوائص "أحزمة الخيل" الذهبية والآلات الفضية، ويقتصر كل الجند على سلاحه ومركوبه ويتشاوروا مع العامة. وأما أخذ الأموال من العامة مع إبقاء الأموال والآلات الفاخرة في أيدي الجند، فلا"

كان الشيخ، آنذاك، في الثمانين مضنى من مقارعة الخطوب والمكاره، فلم يستطع أن يخرج مع الجيش كما خرج إلى المنصورة، ولكن شباب العلماء والقادرين خرجوا مع الجيش،والتقى الجمعان في عين جالوت فأوقع المسلمون بجيوش التتار هزيمة منكرة لم تقم لهم بعدها قائمة.

ملحوظة:وقع خطأ مطبعي في ترتيب الحلقات من المقال فبدل الحلقة الرابعة كان ينبغي أن توضع الحلقة الخامسة، وهو الصواب في الترتيب، فمعذرة للقراء.

حتى لا تكون فتنة

إعدا الأستاذ : أحمد كافي

دخول البشر في دين الله تعالى ليس غريبا في تاريخ الإسلام، إذ لا يزال التاريخ يسجل والى اليوم دخول الناس في هذا الدين وارتضائه، إما لظهور الحق لهم بمقارنته مع غيره، أو لحاجة شديدة إليه لم يعثروا عليها في مللهم ونحلهم، وقد تكون أتعبتهم وأشقتهم مذاهبهم.

لقد ذكر الحق عز وجل أن هذا الدين كله في صالح هذا الإنسان، يحقق مصلحته وسعادته في هذه الدنيا أولا، وفي الأخرة ثانيا عندما يصير إليها وكان السلف يعيشونها ويذكرونها لغيرهم ، كما ورد في السيرة ، أن ربيعة ابن عامر قال لملك الفرس: « جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة ، وهي كلمات يصدقها قوله تعالى: « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »(1)

ولقد قبل هذا الدين ودخل فيه راضيا مقتنعا بأحقيته في عهد النبوة: صهيب الرومي، وسلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، وعمر بن الخطاب القرشي، وصفية بنت حيي بن أخطب اليهودي. وملك النصارى النجاشي... الخ، أقوام وأفراد وقبائل وأجناس عديدة، رضيت العيش تحت راية الإسلام والانصياع لحكمه وأمره، وكيف ترضى عنه بديلا وقد وجدت أخباره صادقة ، وأحكامه عادلة. إذ ما من خبر في دين الله تعالى إلا وهو صادق، وما من أمر من أوامره عز وجل إلا وهي عادلة، لقوله تعالى: « وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا »(2) فالأخبار صادقة والأوامر عادلة.

وأورد القرآن الكريم طائفة من الذين قبلوا الدخول في دين الله تعالى من غير مكابرة أو تمرد أو جحود، فذكر تعالى إسلام عبد الله ابن سلام ،كان حبرا من كبار أحبار بني إسرائيل، وذلك في سورة الأحقاف حين قال : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين» (3) وفي العصرالحاضر أسلم المغني الانجليزي المشهور كات ستيفنس، ومحمد علي، ومايك تايسون بطلا العالم في الملاكمة، ورجاء غارودي المفكر الفرنسي الذائع الصيت، ولائحة طويلة للمشاهير في العلوم والفنون وشتى أنواع المعارف لا يحصون ومن عوام الناس من كل الأجناس خلائق لا يحصون أيضا.

إنهم دخلوا في هذا الدين وقد خبروا أحواله ونظامه وهدايته ، أووجدوا وطرهم فيه، فلم يقدروا مواصلة السير في طريق التيه والتعب والأمراض والأسقام، وفروا بأنفسهم إلى دين ربهم، ناشدين الطمأنينة والسكينة ، مستجيبين لأمره تقدست أسماؤه حين ناداهم بالفرار إليه لقوله لهم : « ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين » (4)

إن هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام، لم يذكروا أن سبب اختيارهم له يعود إلى كونه مكن البشرية من صعود القمر ، أو صناعة الألغام، أو الأسلحة الفتاكة... فانبهروا بتقدمه في المجال العسكري فتوجسوا وخافوا. وإنما ذكروا أن حاذيهم إلى الإيمان به هو بساطته وتسامحه وإخلاصه وإنسانيته، فلم يتردد وا لحظة في أن يكونوا من أشياعه ومريديه.

ولو حافظ المسلمون على أخلاق الوحي والنبوة وتمسكوا بهما ، لكان للبشر جميعا مع هذا الدين قصة أخرى غير التي نعيشها الآن ، ولكن انحرافنا عن تعاليم ديننا جعلنا موضع فتنة للكفار ، الذين نظروا في سلوكنا ، فلم تطمئن قلوبهم لدين الإسلام لجهلهم به، واكتفائهم الربط بين أحوال المسلمين وأخلاقهم بدينهم.

البقية ص:5

الوثاق

وصية أبي حامد الفاسي لأبنائه

الأستاذ : إدريس كرم

هو أحمد بن يوسف بن محمد . فتحا المعروف بالحافظ الفاسي الفهري المتوفى عام 1642/1052.

كان من الذين غادروا فاس إلى جهة العرائش هربا من الجواب على فتوى طلبها محمد الشيخ من علماء فاس (1019) تجيز له مافعل من تسليمه العرائش للاسبان بدعوى "انه وغل في بلاد العدو الكافر واقتحمها كرها بأولاده وحشمه ومنعه النصارى من الخروج من بلادهم بعد أن دخلها حتى يعطيهم بلاد العرائش وانهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك عندهم أولاده رهنا حتى يمكنهم مما ارادوه فهل يجوز أن يفدي اولاده من أيدهم باعطالها لهم ام لا؟" ومن الذين هربوا مثله أو اختفوا عن الانظار، يذكر الامام ابو عبد الله محمد الجنان والامام ابو العباس المقرى والامام سيدي الحسن الزياتي"ويلاحظ الاستاذ المنوني بأن الوصية يمكن أن تكون قد كتبت بعد خروجه السالف الذكر من فاس وانه ربما خاطب بها اولاده لما ارسلوا إلى فاس للدراسة، وفيما يلي نص الوصية:

أول ما أوصيكم به تقوى الله العظيم في السر والعلانية، والإقبال على مايعني، وملازمة الصلوات في الجماعة، والاشتغال بالعلم، والاستكثار منه ما استطعتم.

وليكن جل عنايتكم بالأهم فالأهم، والعلم كله مهم، والأهم علم الشريعة، ولاتؤخروا (تعلم) مسألة لغد وهو يمكنكم اليوم، ولاتحقروا شيئا من العلوم، لايستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون.

فخذوا في علم النحو واجتهدوا في تحصيل مهمات قواعده، والألفية كافية في ذلك، فاتقنوها حفظا وفهما، فإن النحو مفتاح علوم هذه الأمة العربية، ويلتحق به علم التصريف، ومن توابعه علم العروض والقافية، للاحتياج فيبعض مسائله إليه.

وحصلوا علم العقائد، فإنه أصل هذا الدين وأساسه، ثم إن تبين لكم شيخ محقق فاقرؤوا عليه علم الكلام.

وإن أمكن تحقيق الفلسفة الإسلامية فلا بأس، فإنه تكسب العقل نفوذا، والفكرة قوة، والكلام سعة، والعبارة ضبطا، والنظر سدادا، والناظر جرأة، وهي خادم للناظر في أي علم، وأهم تآليفه علم المنطق، وقد قال الشيخ ابن عرفة:"من لم يعرف المنطق لايوثق بعلمه"، وهو علم متداول يتيسر طلبه، فاعتنوا به.

وخذوا من علم الحساب القدر الذي لابد منه في الفرائض والهيئة وغيرهما، وكتب القلصادي كافية في ذلك، وهو مقصود لغيره، فلا تطلبوا منه إلا القدر المحتاج إليه في غيره، ولاتجعلوه مقصودا في نفسه فتوغلوا فيه إيغالا فيشغلكم عما هو أهم منه.

وخذوا من علم النجوم القدر الذي يحتاج إليه في المواقيت والقبلة من العبادات، وفي فصول السنة من العادات، والمتداول في ذلك رجز أبي مقرع، فإن أمكنكم قراءته وقراءه روضة الجادري فافعلوا، ولاعليكم . حينئذ . في فهم يسارة ابن البناء إن تيسر لكم، وقد قضيتم منه غاية إلا رب، ولم يبق . بعد ذلك . إلاماتركه أولى وأوجب.

أما علم الطب فأرجوزة ابن سينا كافية في ذلك، فلا أظنكم تجدون من تقرؤنه عليه.

ومن المهمات اتقان حفظ كتاب الله تعالى، وتحقيق أدائه ورسمه وضبطه، وأخذ ذلك عن أمثل من تمكنكم القراءة عليهم، وفهم كتاب الخرازي وابن بري في الضبط والرسم.

ولاتشغلنكم الصفراء والحمراء عن تحصيل ما هو أهم: من إعرابه وتفسيره وأحكامه، فإن تيسر لكم حضور تفسيره على شيخنا وإمامنا السيد عبد الرحمان فتلك الغنيمة إن شاء الله تعالى، ومن أحسن التفاسير التي أحب لكم مطالعتها وتفهمها تفسير ابن جزي، ولا أقبل قول من يخالف في ذلك.

ولابد من معرفة علمي المعاني والبيان وتوابعهما، فبذلك يطلع على أسرار الكتاب المنزل، وحديث النبي المرسل، وتلخيص القزويني فيه الشفاء، لاسيما بشرحه للشيخ سعد الدين.

واطلبوا الإجازة من شيخنا سيدي عبد الرحمان فيما أجازه فيه شيخنا القصار، وفيما له هو من تأليف ونظم ونثر، وإن قدر لكم أن تسمعوا عليه صحيحي البخاري ومسلم فبخ بخ.

ولتجعلوا الفقه . مع ذلك كله . جل بضاعتكم، صارفين إليه أعظم اهتمامكم، فلابد من حفظ الرسالة والمختصر وفهمهما إن شاء الله (تعالى)، فإن وقع إشكال في مسألة أو انغلق عليكم فهمها، فلا يكون حظكم فيها الاقتصار عنها وتوليتها ماتولت، بل تتبعوها بسؤال من له معرفة، بالفن، ومطالعة الدواوين والكتب حتى يقع الشفاء، ولاتحتقرن من تسأل، فبذلك أوصانا شيخنا إمام وقته السيد محمد القصار رضوان الله عليه.

ثم لايكن بحثكم ذلك شاغلا عن تحصيل غيرها، فقد جعل الله لكل شيء قدرا، ومن أحسن مايسلكه الطالب . إن كانت له أهلية النظر، وقابلية الفهم، وحصل له استعداد . معرفة أدلة المسائل من الكتاب والسنة والإجماع، ومأخذها من هذه الأصول، حتى يلحق الفرع بالأصل، بحكم الربط والوصل.

ومعرفة قواعد إمامه التي بنى عليها أصوله وفروعه، وحينئذ لابد له من معرفة أصول الفقه، وجمع الجوامع (لابن السبكي) محصل لما فيه الكفاية منه، ومن معرفة القواعد المذهبية، وفي إيضاح المسالك للونشريسي من ذلك مايكفي، وقد نظمه ابنه سيدي عبد الواحد في أرجوزة وزاد عليه، ونظم القواعد . أيضا . الزقاق، ومن قصد إلى ذلك يتتبع مظانه: كقواعد القرافي والمقري وغيرهما.

ثم ليكن قصدكم في ذلك التقرب إلى الله تعالى مخلصين له، ولاتدنسوا صفو قصدكم بشوب غرض دنيوي، فإن الدنيا أحقر من أن تقصد بأشرف المطالب، وفائدة العلم والعمل، وليس فيما سوى الله . تعالى . لعاقل أمل، وإنما الأعمال بالنيات إلى آخره.

فأصلحوا نيتكم مااستطعتم، والتزموا التقوى وعمل البر، فإن ذلك ذخر ونجاة في الدنيا والآخرة.

وتحلوا بحلل الأخيار جهدكم، فتخلقوا بتعظيم ماعظمه الله تعالى، والتواضع، والحياء، (والوقار)، والسكينة،وكرم النفس، والإغضاء، والصفح، وغض البصر عما لايليق النظر إليه، والعفاف، وحسن العشرة، ولين الجانب، ونزاهة النفس، والتنزه عن سفساف الأمور ومايخل بالمروءة، واكتساب الصفات الحميدة ما أمكن.

وإياكم والكبر وأضره في التعلم، والبطش، واتباع الشهوات، ومن أضر الأشياء صديق السوء، فإن صديق السوء يردي، والطباع تسرق الطباع، وقالت العامة: كن مع من تكون فمثله، ومع من رأيتك شبهتك.

وإياك أن ترضى بصحبة ساقط

ولاتصحب من لاينهضك حاله، ولايدلك على الله تعالى مقاله.

فإن كنت في قوم فصاحب خيارهم، وإذا صحبتم الأخيار، فالزموا الأدب والوقار، وإياكم والاستغراق في البسط والاعتماد على الدالة فإن ذلك يزرع الضغائن، ويثير الكمائن، ومن مازح الناس استخفوا به وكان محمولا على خفته، والطبيعة داعية للمزاح، فليكن في الكلام، بقدر الملح من الطعام.

وعدوا كلامكم من عملكم، وأصلحوا من عملكم مااستطعتم، وانشغلوا بما يعنيكم، فمن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، واعرفوا حق أهل محبة آبائكم، فإن من بر الرجل إكرامه أهل ود أبيه.

*انظرها يشروحها في: قبس من فهرس المخطوطات المغربي
محمد المنوني حـ.3و4.

في رحاب الحديث

الحديث: السادس عشر

في صيام التطوع

نص الحديث:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر. رواه مسلم.

راوي الحديث

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، أبو أيوب الأنصاري من بني النجار، شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد، وكان صحابيا صابرا تقيا محبا للغزو والجهاد، عاش إلى أيام بني أمية، وغزا مع جيش يزيد بن معاوية القسطنطينية، سنة 52 هـ ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، : مائة وخمسة وخمسون(155) حديثا.

تخريج الحديث

الحديث رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي، ورواه مسلم في كتاب الصوم (باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان) عن يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي ابن حجر جميعا عن إسمعيل قال ابن أيوب حدثنا إسمعيل بن جعفر أخبرني سعد بن سعيد بن قيس عن عمر بن ثابت بن الحارث الخزرجي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الحديث.

أهمية الحديث:

هذا الحديث يفتح بابا عظيما من أبواب البر والخير، ويدل من خلاله الحبيب المصطفى ، صلى الله عليه وسلم، أمته إلى وسيلة ربانية لاكتساب الأجر والثواب.

مفردات الحديث:

" ثم أتبعه : أي صام ستا من شوال بعد إتمام رمضان بعد عيد الفطر.

" كان كصيام الدهر" : كان كصيام السنة.

المعنى العام

1 . صيام التطوع ومكانته في الإسلام.

إن الله تعالى فرض علينا صيام رمضان ، وسن لنا النبي ، صلى الله عليه وسلم، صيام أيام طوال العام ليظل المسلم متلبسا بهذه العبادة، موصولا بها، لأنها من أحب العبادات إلى الله عز وجل ، بل هي العبادة التي اختصها الله لنفسه، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

ولذا أخبر النبي ، صلى الله عليه وسلم، أن «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف».

قال الله تعالى: "إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي ".

ومعنى ذلك أن ثواب الصيام يضاعف أكثر من سبعمائة ضعف، كثرة " لا يعلمها إلا الله الكريم الذي عنده خزائن كل شيئ: (وما كان عطاء ربك محظورا) الاسراء / 20.

وقد كثرت الأحاديث عن النبي ،صلى الله عليه وسلم، في فضل صيام التطوع ، منها : قوله:" ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا".

وقوله: " إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لايدخل منه أحد غيرهم، يقال : أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد".

وعن أبي أمامة قال: " أتيت النبي ، صلى الله عليه وسلم، فقلت: مرني بعمل يدخلني الجنة، قال: عليك بالصوم فإنه لا عدل له، ثم أتيته الثانية فقال : عليك بالصيام".

2 . حكم صيام التطوع.

قال يحيى 2 ." وسمعت مالكا يقول في صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان أنه لم ير أحدا من أهل العلم والفقه والاجتهاد يصومها ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف الذين لم أدركهم كالصحابة وكبار التابعين وأن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته وأن يُلحق (بضم الياء وكسر الحاء) برمضان ماليس منه أهل الجهالة والجفاء الغلظة والفظاظة لو رأوا في ذلك رخصة ثم أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك قال مطرف فإنما كره صيامها لذلك فأما من صام رغبة لما جاء فيها فلا كراهة.

وقال عياض. عند ذكر الحديث الذي نحن بصدده. لأن الحسنة بعشرة والستة تمام السنة كما رواه النسائي، قال شيوخنا إنما كره مالك صومها مخافة أن يلحق الجهلة برمضان غيره، أما صومها على ما أراده الشرع فلا يكره وقيل لم يبلغه الحديث أو لم يثبت عنده ، أو وجد العمل على خلافه ويحتمل أنه إنما كره وصل صومها بيوم الفطر، فلوصامها أثناء الشهر فلا كراهة وهو ظاهر قوله

إعداد الاستاذ، عبد الله بوغوتة

ستة أيام بعد الفطر من رمضان.

وقال أبو عمر (ابن عبد البر) كان مالك متحفظا كثير الاحتياط في الدين والصيام عمل برفلم يره من ذلك خوفا على الجهلة كما أوضحه انتهى.

3 . الحكمة من صيام التطوع.

التطوع هو التقرب إلى الله تعالى بما ليس بفرض من العبادات ، مأخوذ من قوله تعالى:(ومن تطوع خيرا) ،ويعبر عنه بالنافلة كما في الصلاة ، لقوله تعالى: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) ،ولقد شرع الإسلام التطوع جبرا لما قد يعتري الفرض من النقص والخلل، وهو سبب لمرضاة الله ومحبته تعالى لعبده كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في الصحيح :" ... وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ".

4 . أقسام صيام التطوع.

ولقد رغب في صيام أيام بعينها : منها: الاثنين والخميس. وقال فيهما: « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» .3

ومنها ثلاثة أيام من كل شهر. وقال فيها:" صيام ثلاثة أيام من كل شهرصوم الدهر» .4 . وأرشد أن تكون أيام البيض، فقال لأبي ذر:" إذا صمت من الشهر ثلاثا فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة ، وخمس عشرة» .5 .

ومنه صيام يوم عرفة، وسئل عنه فقال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أنه يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده» .6 .

ومنها : عشرة ذي الحجة، وقيل الثمانية أيام الأولى من ذي الحجة قبل عرفة للحاج وغيره، لقول حفصة:" أربع لم يكن يدعهن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، : صيام عاشوراء والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة» .7 . .

ومنها يوم عاشوراء أو تاسوعاء وعاشوراء، وهما التاسع والعاشر من شهر المحرم، ويسن الجمع بينهما، لحديث ابن عباس مرفوعا: " لئن بقيت إلى قابل ، لأصومن التاسع والعاشر" .8 . وسئل عنه فقال: " أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله" متفق عليه.

ومنها الإكثار من الصيام في شعبان، فقد كان يفعله، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: " كان يصوم شعبان إلا قليلا".

ومنها صوم يوم وإفطار يوم وهو أفضل صوم التطوع، لخبر الصحيحين:" أفضل الصيام. صوم داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما " وفيه:" لا أفضل من ذلك " متفق عليه.

5 فضل صيام التطوع.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا" رواه أحمد والشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم:" من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والأرض" أخرجه الترمذي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه.

فليحرص المسلم على كثرة التزود من هذه العبادة الجليلة ما دام في حال صحته وعافيته فالأجر كثير والعمر قصير وقد يتثاقل بعض الناس أمر الصوم في غير رمضان ويزين الشيطان ذلك بأن صيام التطوع يؤجر فاعله ولا يعاقب تاركه فلا داعي أن تتعب نفسك بصيام غير مفترض عليك نعم قد يثقل الشيطان ذلك على العبد لكن يقال إذا جاهد الإنسان نفسه بصدق وحملها على فعل الخيرات حبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الفسوق والعصيان وجعله من الراشدين ، ويزيد هذا الخير خيرا أن في النوافل فوائد عظيمة أخرى : فهي سبب من أسباب محبة الله تعالى كما ورد في صحيح البخاري الخبر القدسي:" وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" الحديث. ومن فضل النوافل أيضا أنها ترقع ما نقص من الفرائض فقد ورد في الحديث أن العبد يحاسب على الصلاة فإذا كملت قيل انظروا هل لعبدي من تطوع؟ وكذلك في الصيام أو كما ورد في الحديث .

فنسألك اللهم أن تحبب إلينا الإيمان وتزينه في قلوبنا وتكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وأن تجعلنا من الراشدين.

أفكار الحديث:

1 . مكانة الصوم في الإسلام.

2 . حكم صوم التطوع.

3 . الحكمة من صوم التطوع.

4 . أقسام صوم التطوع.

5 . فضل صوم التطوع.

فوائد الحديث:

من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال ، فكأنما صام الدهر. لأن اليوم بعشرة أيام، ورمضان بعشرة أشهر والستة أيام في عشرة بشهرين، وتلك سنة كاملة.

الأفضل في صيام الست أن تكون متوالية، وعقب يوم العيد ، من غير أن تقترن بالعيد أو بأيام معينة.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل

الهوامش

1 . متفق عليه

2 . شرح الزرقاني . ج 2 . ص 270.271.

3 . رواه الترمذي وقال : حديث حسن، ورواه مسلم بغير ذكر الصوم.

4 . متفق عليه.

5 . رواه الترمذي وقال : حديث حسن.

6 . رواه مسلم.

7 . رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

8 . رواه الخلال بإسناد جيد.

حديث المنابر

الأمانة في الاسلام

إعداد: أبو عمر

أما بعد ، فيقول الله عزوجل في محكم كتابه العزيز:﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ سورة الأنفال/الآية :27. ويقول سبحانه :﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعِما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ سورة النساء /الآية : 58.

وعن أبي هريرة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم، قال:" ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان" رواه أحمد.

بهذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر خلق الأمانة في نظام الإسلام الحنيف، ولقد بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليتمم مكارم الأخلاق.

إن الإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ حي تصان به حقوق الله وحقوق الناس ، وتحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال ، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أمينا، والأمانة في نظر الإسلام واسعة الدلالة، وهي ترمز إلى معان شتى مناطها جميعا شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه ، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه على النحو الذي فصله الحديث الكريم، فعن عبد الله بن عمر قال: « سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته قال وحسبت أن قد قال والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته». رواه البخاري.

والعوام من الناس يقصرون الأمانة في أضيق معانيها وآخرها ترتيبا وهو حفظ الودائع مع أن حقيقتها في دين الله عز وجل أضخم وأثقل، إنها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها فعن سالم أن ابن عمر كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادنُ مني أُوَدِّعْكَ كما كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يودعنا فيقول أستودع الله دينك وأمانتة وخواتيم عملك ." قال أبوعيسى هذا حديث حسن.

ولقد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، في حياته الأولى قبل البعثة يلقب بالأمين. وكان ألد أعدائه بعد البعثة يشهد له بالأمانة ، وغزا القلوب بهذه الخصلة العظيمة.

وهذا موسى عليه السلام قبله ، يؤكد من خلال الممارسة أن الأنبياء والرسل هم أعظم الناس أمانة ، إذ هم خيرة الناس من خلق الله حين سقى لابنتي الرجل الصالح، ورفق بهما واحترم أنوثتهما، وكان معها عفيفا شريفا .(فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير. فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين، قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين .) سورة القصص. الآيات: 262524.

ومن معاني الأمانة: وضع الشيء في المكان الجدير به، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به، ولا تملأ وظيفه إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها.

واعتبار الولايات والأعمال العامة أمانات مسئولة ثابت من وجوه كثيرة فعن أبي ذر قال : قلت يارسول الله ألا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها " رواه مسلم.

إن أبا ذر لما طلب الولاية لم يره الرسول ، صلى الله عليه وسلم، جلدا لها فحذره منها والأمانة تقضي بأن نصطفي للأعمال أحسن الناس قياما بها، فإذا ملنا عنه إلى غيره. لهوى أو رشوة أو قرابة ، فقد ارتكبنا بتنحية القادر وتولية العاجز جناية فادحة ، قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم، من استعمل رجلا على عصابة، وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين" رواه الحاكم.

والأمة التي لا أمانة فيها. هي الأمة التي تعبث فيها الشفاعات بالمصالح المقررة، وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم، وتقدم من دونهم، ولقد أرشدت السنة إلى هذا من مظاهر الفساد الذي سوف يقع في آخر الزمان. عن أبي هريرة قال بينما النبي ، صلى الله عليه وسلم، في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال أين أراه السائل عن الساعة؟ قال ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها قال: إذا وسُد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. »

قال الله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) سورة الأحزاب . إنها الأمانة بمعناها الشامل، فتوحيد الله أمانة ، وعبادة الله أمانة ، وحسن معاملة خلق الله أمانة...

ومن معاني الأمانة :أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك وإلى المواهب التي خصك الله بها ، وإلى ما أعطاك الله من أموال وأولاد فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك، فيجب أن تسخرها في قراباته، وأن تستخدمها في مرضاته. فإن امتحنت بنقص شيء منها فلا يستخفنك الجزع ، متوهما أن ملكك المحض قد سلب منك ، فإن الله تعالى أولى بك وأولى بما أفاض عليك منك، فله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بقدر، وإن امتحنك ببقائها فما ينبغي أن تجبن بها عن جهاد أو تشق بها عن طاعة أو تستقوي بها على معصية قال الله عز وجل:(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) سورة الأنفال /الآية :27

ومن أعظم الأمانات التي بحفظها تضمن وحدة الجماعة وقوتها وسلامتها من الأمراض، أن تحفظ حقوق وأسرار المجالس ،فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت ، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وذكرهم ما يدور فيه من كلام منسوب إلى قائله أو غير منسوب: قال صلى الله عليه وسلم، « إذا حدث رجل بحديث فالتفت فهو أمانة »

وحرمات المجالس تصان مادام الذي جرى فيها مضبوطا بقوانين الأدب وشرائع الدين، وإلا فليست لها حرمة.

وللعلاقات الزوجية في نظر الإسلام قداسة فما يضمه البيت من شؤون العشرة بين الرجل وامرأته يجب أن يطوى في أستار مسبلة فلا يطلع عليها أحد مهما قرب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، : « إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها. »رواه مسلم.

وتربية الأولاد تربية إسلامية يرضاها الله ورسوله أمانة ، ووحدة الأسرة والجماعة والبلد والأمة أمانة من أخطر الأمانات.

والودائع التي تدفع إلينا لنحفظها حينا ثم نردها إلى أصحابها حين يطلبونها من الأمانات التي نسأل عنها بين يدي الله عز وجل، فعن عبد الله ابن مسعود قال: " القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة قال يؤتى بالرجل يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله .فيقال أد أمانتك فيقول : أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال انطلقوا به إلى الهاوية، وتمثل له الأمانة كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها، فيهوى على إثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه ، فهو يهوى في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة ، وأشياء عددها، وأشد ذلك الودائع: قال راوي الحديث فأتيت البراء ابن عازب فقلت ألا ترى إلى ما قال ابن مسعودقال: صدق سمعت رسول الله ، صلى اله عليه وسلم، يقول: ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها.﴾ سورة النساء

والحمد لله رب العالمين.

تتمة ص:2

لهذا السبب تخوف السلف الصالح من أن يكونوا صدادا عن دين الله تعالى بأعمالهم يخافون من ذلك ويدعون ربهم أن لا يجعلهم بأعمالهم من الفتانين الذين قال في حقهم عز من قائل: « ربنا ولا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا ﴿ 5 ﴾ وفي تفسير هذه الآية يقول الشيخ رشيد رضا: « والثابت بالتجارب أن سوء حال المؤمنين وأهل الحق في أي حال: من ضعف أو فقر أو عمل مذموم ، يجعلهم موضعا أو موضوعا لافتتان الكفار وأهل الباطل بهم ، باعتقاد أنهم هم خير منهم ﴿ 6 ﴾

إن الصورة التي نحيا عليها في حياتنا وسيلة من وسائل الدعوة لا تنكر أهميتها إيجابا أو سلبا .وبناء عليها نص علماؤنا على أن الدعوة قد تكون بإظهار الحجج والبينات ، وقد تكون بالقدوة والسلوك بل رب سلوك خير من ألف كلام وإيضاح وبرهان . ولن نتجاوز الحقيقة إذا قلنا : إن دخول الناس في دين الله أفواجا سيتحقق يوم تكون أخلاق الاسلام وأحكام الاسلام معاملات الإسلام هي الغالبة في صفوف المسلمين ، وصدق الخبر الذي اشتهر على الألسنة : «الدين المعاملات » (7)

ويشهد لما ذكرناه أن من دخل في دين الله بأخلاق تجار المسلمين أكبر بكثير ممن دخل بالفتوحات والغزوات . ومن دخل في دين الله تعالى بعد صلح الحديبية مع قصر المدة التي استمرفيها . أكبر بكثير ممن دخل منذ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى قال بعض أهل العلم: إن صلح الحديبية هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه.

وليس الكفار وحدهم بحاجة إلى ما تحدثنا عنه ، ولكن أبناء المسلمين الحيارى والشاردين عن دين الله تعالى بدورهم في أمس الحاجة إلى السلوك الذي المحنا إليه ، ولهذا قال عز وجل في دعاء عباد الرحمان : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴿ 8) فلا يليق بالمسلم أن يكون فتانا للكافرين من اليهود والنصارى وغيرهما ، ولا للظالمي أنفسهم من المسلمين الذين أسرفوا على أنفسهم بمبارزةالله بالمعصية، فهؤلاء وأولئك في حاجة ماسة إلى الأخلاق العالية التي تغريهم بالتوبة والعودة إلى الدين ، أو على الأقل أن لا نجعلهم صناديد المواجهة بسبب سلوكاتنا المنحرفة.

إن حسن الخلق، والبشاشة، والتبسم، والصدق في المعاملة، وحسن الطوية، والرحمة بالخلق، والعفو ، والحياء ... مكرمات من مكارم الأخلاق وصدقة من صدقات يغفل عنها كثير من المسلمين . فالبدار البدار إليها حتى لا تكون فتنة.

الهوامش

1. سورة طه/ الآية :01.
2. سورة الأنعام / الآية :116.
3. سورة الأحقاف / الآية :10.
4. سورة الذاريات / الآية :50.
5. سورة الممتحنة./ الآية :05.
6. تفسير المنار:ج 11/ص 470.
7. لم أعثر على خبر في كتب الحديث ولكن صحة معناه دفعني لإيراده.
8. سورة يونس / الآية :85.

نشرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في السنة المنصرمة (1421.2000) كتاب تحت عنوان : "القاضي برهان الدين بن فرحون وجهوده في الفقه المالكي للأستاذة الفاضلة نجيبة أغرابي التي تجردت للتعريف بهذه الشخصية الفذة وبفقهه واعماله. وان الكتاب يعتبر بحق ثمرة مجهود دؤوب، وعمل تطلب بحثا متواصلا وفكرا رحبا وتنظيما محكما وانجازا تزخر به المكتبة الاسلامية وكنزا ثمينا تنعم به الأجيال الحاضرة والمستقبلة.

جولة في كتاب

إعداد الاستاذة: لبنى العافية

إن القارئ المتمعن فيما وراء كلمات وسطور هذا الكتاب يحس وكأنه انتقل بكل كيانه ليعيش مع القاضي برهان الدين بن فرحون ومع حقبة هامة من عصره الذهبي، أو لنقل أن مؤلفة الكتاب. على حد راينا المتواضع. قد نجحت إلى حد ما في نقل القرن الثامن الهجري إلى رحاب وفضاءات القرن الواحد والعشرين وبمعنى أدق وأوضح فان الفقه الاسلامي بشتى مذاهبه واتجاهاته قادر على التأقلم مع كل الظروف والمستجدات وصالح لكل زمان ومكان ان هو وجد رجالا أفذاذا في مكانة عالما لنا المالكي برهان الدين بن فرحون.

لقد قسمت المؤلفة الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسية، أولت لكل باب العناية الخاصة به والتي يستحقها، ففي الباب الأول خصص للتعريف بالقاضي بن فرحون وذلك في فصول. الفصل الاول كان الحديث ولو بايجاز عن الوضعية السياسية بالشرق الاسلامي عامة وبالحجاز. موطن برهان الدين. خاصة معرجة بعد ذلك للحديث عن الحالة العلمية التي عرفها القرن الثامن الهجري وهي حركة ازدهار وتأليف وبحث، ثم انتقلت المؤلفة بعد ذلك للحديث عن شخصيته المتميزة و فتحدثت عن نسبه وأصله. وهل أصل عريق يعود إلى جذور أندلسية لينتقل بعد ذلك إلى تونس ثم الحجاز، وبالضبط المدينة المنورةحيث ازداد فقيهنا في أسرة عريقة عرفت بتبحرها العميق في العلم والتعلم والمعرفة، حيث تلقى في احضانها تربية إسلامية أصيلة قبل أن يتسع مجال تكوينه المعرفي عبر الجلوس في بداية الامر أمام شيوخ أعلام من أهل بيته خاصة والده: أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن فرحون اليعمري ثم عمه عبد الله بن محمد وذلك بعد وفاة أبيه.

ثم بعد ذلك انتقل للجلوس إلى شيوخ من المالكيةمن أمثال، أبو عبد الله بن محمد بن جابر الوادي آشي ومحمد بن أحمد بن علي بن جابر الاندلسي وقيس بن اسحاق الجندي وغيرهم كثير.

كما جلس إلى شيوخ من الشافعية من أمثال الزبير بن علي الاسواني.

تقول المؤلفة "..فحصرنا لتعداد شيوخ ابن فرحون ماهو إلا حصر نسبي طبقا لما ذكرته واكدته كتب التراجم..." فان اقامته بالمدنية المنورة مكنته من الالتقاء بعلماء أجلاء من مختلف المشارب والاقطار ممن كانوا يفدون على المدينة المنورة. يضاف إلى هذا ، أن القاضي برهان الدين قام برحلات عديدة بغية العلم والتعلم قادته على الخصوص إلى حمص ودمشق والقاهرة...

وحري بشخصية تلقت هذا التكوين المتنوع أن تتربع على عرش القضاء،فكان في توليه لهذا المنصب لايخاف لومة لائم، ديدنه احقاق الحق ورد الامور إلى نصابها والمظالم إلى أهلها، بل إن تجربته في هذا الميدان مكنته من تأليف كتاب قيم في مجلدين يهتم بفقه القضاء وهو كتاب "تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الاحكام" بالاضافة إلى مصنافات أخرى عديدة تهتم بمواضيع مختلفة اشارت إليها المؤلفة عند معرض حديثها عن آثار برهان الدين بن فرحون.كما أنه لم يفت الباحثة في هذا الباب الاشارة إلى صفات القاضي برهان الدين الخُلقية منها والخِلقية. وعرضت في بداية حديثها عن هذه الشخصية إلى الاختلاف البين بين الدارسين حول تاريخ ولادته ووفاته وإن كان تاريخ الوفاة لايطرح اختلافا بينا بين الباحثين.

أما الباب الثاني: فقد خصصته المؤلفة إلى الاصول النظرية لفقه ابن فرحون مبتدئة هذا الباب ببحث تمهيدي في أصول الاستدلال عند الفقهاء وماانفرد به المالكية على وجه الخصوص. حيث أن هناك أصول متفق عليها بين كل المذاهب الفقهية وتتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية والاجماع والقياس وهناك أصول اختلف في الاخذ بها وتهم على الخصوص قول الصحابي والاستحسان والمصلحة المرسلة والاستصحاب وسد الذرائع والعرف والعادة. إلا انها لاتشكل اختلافا عند أصحاب المالكية بالاضافة إلى ماانفرد به الامام مالك وتتجلى في عمل أهل المدينة.

بعد هذا المدخل التمهيدي انتقلت المؤلفة للحديث في فصل أول عن طرق الاستدلال عند ابن فرحون، حيث ركزت الحديث في بداية هذا الفصل حول التعريف بمناهج الاصوليين في "الاستدلال"، وتلخصت هذه المناهج في ثلاث اتجاهات رئيسية، وهي المدرسة الشافعية (مدرسة المتكلمين) وتنبني على تحقيق المسائل الأصولية تحقيقا منطقيا مجردا دون التأثر بالفروع الفقهية. ثم المدرسة الحنفية أو كما تسمى (مدرسة الفقهاء) ومنهجها يقوم على استخلاص الحصول من الفروع الفقهية، ثم هناك المدرسة التوفيقية وهي طريقة جمعت بين الطريقتين السالفتي الذكر. فما هو موقع ابن فرحون في اطار هذه المناهج الاستدلالية؟

بخصوص الادلة النقلية والمتمثلة في الكتاب والسنة، فإن تعامل ابن فرحون كان كما يلي: بالنسبة للكتاب "القرآن الكريم":فان ابن فرحون تارة يستشهد بالآيات التي تناسب موضوع حديثه مجردة دون أن يعلق عليها أو يأتي بأقوال العلماء والمفسرين فيها، وتارة يأتي بالآيات ثم يشرحها ويعلق عليها وتارة أخرى يضيف إلى ذلك أقوال العلماء والمفسرين.

أما بخصوص السنة فان ابن فرحون كان يأتي بطرف من الحديث ويستشهد به على موضوعه وتارة يأتي بالحديث دون أن يعلق عليه بشيء من كلامه أو كلام العلماء.وتارة أخرى كان يقوم بتخريج الاحاديث وعزوها إلى مصادرها.

وبخصوص الادلة العقلية والمتمثلة في القياس والعرف والاستحسان ومراعاة الخطف فان ابن فرحون قد اعتمدها في كثير من ارائه وكتاباته.وفي فصل ثان قامت المؤلفة بعرض أسماء العلماء الذين اعتمد عليهم ابن فرحون مستعرضة نبذة موجزة عن حياة كل واحد منهم، فمن علماء المالكية نذكر ابن القاسم، وابن الماجشون، وابن حبيب وسحنون واللخمي وابن رشد وابن العربي.. وغيرهم كثير ومن علماء المذاهب الاخرى أوردت المؤلفة أسماء كل من الزعفراني الشافعي وابن الجوزي البغدادي الحنبلي وابن الصلاح الموصلي الشافعي.

أما بخصوص الكتب التي اعتمد عليها ابن فرحون فتهم بالخصوص الموطأ للامام مالك والمدونة لابن القاسم وسحنون، والواضحة لابن حبيب والتوضيح لخليل وفتاوى ابن رشد.

إن هذا التنوع في مصادر ابن فرحون مكنته من احتلال مكانة هامة في مراتب العلماء الاجلاء الذين قدموا خدمات جليلة للاسلام والمسلمين.

بعد كل هذا انتقلت المؤلفة في باب ثالث للحديث عن الاطار التطبيقي لفقه ابن فرحون وذلك من خلال قضائه وفتاويه وانطلاقا من مصنافاته التي تبرز وبجلاء شخصيته الفقهية.مخصصة الفصل الاول من هذا الباب عن الكلام عن ابن فرحون كقاض ومفتي معرفة بالقضاء وشروط القاضي والمكانة التي يتبوؤها القضاء في الفقه الاسلامي معززة ذلك بآيات قرآنية وأحاديث صحيحة في الموضوع.

ثم عرجت الباحثة إلى التعريف بابن فرحون القاضي من خلال رصد مجموعة من الشهادات كثير من العلماء وهي شهادات عليا في العدل والانصاف حيث وصفه القاضي شهبة في تاريخه بالقاضي العالم الأصيل. وقال عنه محمد حجي بأنه "قاضي قضاة المدينة" وهو بهذه الشهادات وغيرها يكون ابن فرحون سما إلي مرتبة عليا في القضاء قل نظيره فيها.خصوصا وقد ترك لنا أثره الطيب في المسيرة العلمية وفي تاريخ القضاء الاسلامي عن طريق تصنيفه لكتابه النفيس "تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الاحكام" حيث ضمنه شيخنا الجليل تجربته القضائية،كما يعتبر أول كتاب جمع قواعد هذا العلم وضوابطه وأدابه.

وقد ذكرت الاستاذة الباحثة مجموعة من نماذج أقضية بن فرحون من خلال هذا الكتاب وهي نماذج تبين لنا مدى الجهد الذي بذله من أجل تحقيق المسائل ومتابعتها.

أما فيما يتعلق بابن فرحون كمفتي فقد شرعت المؤلفة في البداية بتعريف الافتاء لغة واصطلاحا ثم ذكر شروط المفتي وبعض أقوال فقهاءنا الاجلاء في هذا المضمار. مع الوقوف على بعض فتاوي شيخنا ابن فرحون.

أما الفصل الثاني فقد تركز البحث فيه عن مجموعة من مؤلفات ابن فرحون وبالاخص ماهو فقهي منها فقط وقد تناولت

←

الباحثة كل كتاب على حده مبرزة كل من جانبيه الشكلي والمنهجي مع تسليط الضوء على جملة من مؤلفاته في الموضوع ككتاب ارشاد السالك الى افعال المسالك. وكتابه "تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الأحكام" ثم "ذروة الغواص في محاضرة الخواص" ثم أخيرا كتاب "كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب"بالاضافة إلى كتب أخرى.

...هذا وقد كان للاستاذة نجيبة أغرابي جولة حول ابن فرحون بين الاجتهاد والتقليد في الفصل الثالث وذلك باعطاء نظرة مركزة حول معنى الاجتهاد والتقليد لغة واصطلاحا مع ذكر بعض شروط الاجتهاد وأنواعه حيث أنها تتأرجح بين نوعين أساسين: اجتهاد مطلق وهو مايعرف بالاجتهاد المستقل أي أن الناظر في الأدلة الشرعية لايلتزم بمذهب إمام معين. واجتهاد مقيد وهو أن يبذل الفقيه جهده في تحقيق الأحكام ومعرفتها عن أدلتها متبعا لمجتهد ومقيدا بأصوله وبفروعه ملتزما بمذهب معين دون أن يتعداه إلى نصوص غيره.

أما التقليد فهو أيضا ينقسم إلى قسمين تقليد محمود وتقليد مذموم بحيث أن الفقهاء اتفقوا على أن التقليد المحمود مالم يخالف الشرع والمذموم إذا اتبع الهوى والعناد دون تبصر ولا معرفة ولاروية.

والمغزى من ذلك كله هو أن تصنف الباحثة القاضي بن فرحون مابين المجدد والمقلد وأن تبرز منزلته المرموقة داخل المذهب المالكي حيث خلصت من خلال أراء علماء أجلاء في شيخنا المذكور انه في كثير من الاحيان لايتقيد بما ورد في المذهب من أقوال وآراء بل يخرج عنه ويأخذ بآراء المذاهب الأخرى مستدلة على أقوالها ببعض الأمثلة.

في الوقت نفسه لايتوانى في الدفاع عن أصول المذهب المالكي وقواعده.وبهذا يكون القاضي بن فرحون جامعا بين الاجتهاد والتقليد وان كان إلى التقليد أقرب بحيث يعد علما من أعلام المذهب المالكي عن طريق إرساء قواعده وإحيائه في المشرق الإسلامي بعد خموله وإن لم يأت فيه بجديد لا في أصوله ولافروعه.

أما الفصل الرابع والأخير فقد شمل خصائص فقه ابن فرحون والمتجلية بعد قراءة متأنية لمؤلفاته في بروز شخصيته الفقهية في كثير من المواطن وعدم اكتفائه بما قاله علماء المذهب بل يتعدى ذلك إلى أقوال علماء المذاهب الأخرى مما يدل على فهمه الواسع ونظره الثابث مضيفا إلى المكتبة المالكية نوعا جديدا وطريقا من الفنون الفقهية وهي الالغاز.

وفي نهاية هذا التعريف لكتاب القاضي برهان الدين بن فرحون وجهوده في الفقه المالكي نرى أن حتمية هذا الكتاب تتجلى وبوضوح في الدقة المتناهية لدراسة الشخصية وإحاطتها بكل ماتتطلبه من عناية في البحث العميق ومجهود قيم بذلته الاستاذة نجيبة أغرابي مشكورة لكي تبرز أحد أقطاب الفكر الإسلامي في القرن الثامن الهجري.

موقف فقهاء الشريعة من التلقيح الصناعي(*)

إعداد الأستاذ : عبد العزيز بطراني

هناك من الفقهاء من عارض اللجوء إلى التلقيح الصناعي بغض النظر عن طريقته وحالاته . واعتبره منافيا للدين ، ومخالفا لسنن الفطرة الإنسانية التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها للإنجاب والتناسل، فلا إنجاب مشروع في نظرة الإسلام إلا من خلال الاتصال المباشر ، في ظل الزواج الشرعي . بين الرجل والمرأة ، دون أن يكون ثمة وسيط بينهما.

ومما استدل به أصحاب هذا الرأي ، في هذا الاتجاه، قوله تعالى: « فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ، فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين» سورة الأعراف / الأية: 189. وقوله تعالى : «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم. » سورة البقرة/ الأية 187.

ثم فيه كشف للعورات ، وتصوير للأعضاء التناسلية ظاهرا وباطنا . وكشف العورة وخاصة السوآتين محرم إلا عند الضرورة القصوى ، كأن يكون ثمة خطر على حياة الرجل والمرأة ، ولاشك أن العقم لا يعد خطرا على حياتهما وخصوصها إذا لم يكن سبب الإصابة بالبكتيريا. وهذه يمكن علاجها بتناول المضاد الحيوي المناسب لمدة معينة، تحت إشراف طبيب ، بعد تشخيصها بواسطة التحليل الدموي، من غير حاجة إلى كشف العورة على الطبيب المعالج، وما على المسلم والمسلمة المصابين بالعقم إلا أن يصبرا ويتقيا الله تعالى ويرضيا بما قدره لهما سبحانه وقضاه . ولا يتجاوزا حدود ما شرع لهما .

بالإضافة إلى أن في التلقيح الصناعي احتمال وصول حيوانات منوية شادة في تكوينها إلى البييضة، وقد ينجح أحدهما في تلقيحها فتكثر العيوب الخلقية، مما يؤدي إلى الإجهاض أو ولادة مولود مشوه، في حين أن هذه الحيوانات المنوية المريضة في الاتصال المباشر بين الزوجين، تموت قبل أن تصل إلى البييضة ، لوجود عوازل كثيرة تقتلها.

كما أنه لا يزيل أسباب العقم الموجودة في الرجل والمرأة ، فالأسباب تبقى إن لم تزد في المرأة بعد التلقيح ، لتعرض جسدها للتشوهات نتيجة إجراء العمليات الجراحية عليها، وإدخال آلات التصوير والسبر والشفط إلى المواضع الحساسة من جسدها.

وهناك فريق ثان من الفقهاء من لم ير حرجا في اللجوء إلى التلقيح الصناعي عند الحاجة إليه ، كأن يكون بالزوجين أو بواحد منهما ما يمنع حدوث الحمل بالطريق الطبيعي المعتاد ، لكن بشرط أن ينحصر التلقيح في حدود نطفة الزوج ، وبييضة زوجته، ولا فرق إن تم التلقيح داخليا، أو خارجيا ، وهو ما أقره المجلس الفقهي في دورة مؤتمره الثالث في عمان بتاريخ 2.12 صفر سنة 1407 موافق 1986م.

وفي تعليل رفع الحرج ، يقول الشيخ مصطفى الزرقاء « إن الذي يحصل فيها ، تؤخذ نفطة الرجل وتزرع في مهبل الزوجة ، وهو الذي يحصل في حالة المباشر الطبيعية بين الزوجين، لافرق سوى الاستعاضة عن عضو الذكورة بمزرقة تزرق بها نطفة الزوج في الموضع المناسب من مهبل الزوجة امام العنق».

ويقول جاد الحق علي جاد الحق في التأكيد على الجواز، أخذ بوييضة الزوجة التي لا تحمل وتلقيحها بمني زوجها خارج رحمها (أنابيب) وإعادتها بعد إخصابها إلى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمني إنسان آخر أو حيوان ، وبعد نصح طبيب صادق مجرب بتعيين هذا الطريق فهذه الصورة جائزة شرعا .

يتضح مما تقدم حول موقف فقهاء الشريعة من التلقيح الصناعي أن هناك إجماعا على تحريم بعض حالات التلقيح الصناعي ، وهي الحالات التي تكون فيها النطفة من مصدر خارجي غير مصدر الزوج ، والبييضة من مصدر خارجي غير مصدر بييضة زوجته، أو كانت بييضتها، لكن بعد تلقيحها بنطفة زوجها تم زرع اللقيحة في رحم امرأة أخرى ولافرق إن كانت هذه المرأة إحدى زوجاته، أو أجنبية عنه.

أما باقي الحالات الأخرى وهي التي يكون فيها المصدر اللقيحة من نطفة الزوج وبييضة زوجته، فحولها خلاف ، فهناك من أجازها، وهناك من منعها، وحكم بتحريمها، فيكون بذلك يمنع اللجوء إلى التلقيح الصناعي بكافة أنواعه.

ونحن مع الذين رجحوا الجواز للاعتبارات التالية والله أعلم:

إن التلقيح الصناعي أصبح يمارس على نطاق واسع من العالم في مستشفيات كثيرة ، لمعالجة العقم، وقد وصل ذلك إلى بعض البلاد العربية وذلك خير من اللجوء إلى المشعوذين والدجالين، والذي يعد الاتصال بهم محرما قطعا.

الرغبة الملحة في الإنجاب، بحيث يسبب عدم تحققها القلق وعدم الاستقرار والاطمئنان النفسي، لدى غالب الأفراد، وقد تبين أن عدم تحققها أيضا ، يعرض بعض النساء لإمكانية الإصابة بالسرطان في بعض أعضائهن كالثدي أكثر من غيرهن اللواتي حملن وولدن وأرضعن.

إن في اللجوء إلى التلقيح الصناعي إمكانية الحد من ظاهرة التبني وهو محرم شرعا، إلا أن هذا التحريم لا يحترم، فهناك من يلجأ إلى التبني إما بشكل علني كما هو في بعض البلدان الاسلامية التي تجيزه قوانينها، وأما بشكل متستر يدخل فيه التزوير والتحاليل على القانون كما هو الشأن في بعض البلدان الإسلامية الأخرى، فإذا أتيح لمن يعاني مشكلا في الإنجاب اللجوء إلى التلقيح الصناعي أمكننا وبدون شك الحد من ظاهرة التبني وظواهر أخرى مثل اختطاف الأطفال وسرقتهم ليتم بيعهم بعد ذلك للمحرومين من الإنجاب.

إن في اللجوء إلى التلقيح الصناعي التقليص من نسبة الطلاق ، إذ في حالات عديدة يكون العقم دافعا من دوافع اللجوء إلى الطلاق ، كما هو واضح من بعض الإحصائيات بل إن بعض التشريعات العربية تجعل العقم مبررا للتطليق، كما في العراق ، في قانون أحواله الشخصية المادة 5/43

الحد من المعاناة النفسية للعديد من الأزواج المصابين بالعقم، وخصوصا الذين لا يعرف سبب عقمهم ، مما يفقدهم الأمل في معالجته، فيبقى التلقيح الصناعي أملهم الوحيد، بعد التوكل على على الله عز وجل، والأخذ بالأسباب.

تحقيق رغبة الإسلام في التناسل والإنجاب بناء على قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم: « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم، ذلك ان مقاصد الزواج في الإسلام. كما تقدم ، التوالد والتناسل ، من أجل بقاء النوع الإنساني ، والتلقيح الصناعي خير مساعد على ذلك بالنسبة لمن تعذر عليه الإنجاب من طريقه المعتاد المشروع، إلا أن هذا الجواز نقترح تقييده بالشروط التالي:

الإدلاء بعقد الزواج والتأكد من عدم انتهاء الرابطة الزوجية بموت ، أو طلاق بائن.

شهادة من طبيب متخصص مؤتمن يقر فيها بعجز أحد الزوجين عن الإنجاب بالطريق الطبيعي، ويرخص لهما باللجوء إلى التلقيح الصناعي في حدود الحالات المسموح بها.

شهادة من متخصص نفسي مؤتمن يدلي فيها بحالة الصحة النفسية للزوجين ومدى تأثير العقم عليهما، وعلى حياتهما الاجتماعية.

أن يتولى التلقيح طبيبة مسلمة، فإن لم توجد فطبيبة أجنبية ، فإن لم توجد فطبيب مسلم فإن لم يوجد فطبيب أجنبي.

أخذ كافة الاحتياطات حتى لا يقع استبدال أو خلط في النطف والبييضات ، مادام التلقيح الصناعي لا يتم في بيوت خاصة مغلقة ولا في مخابر تقتصر في عملها على حالة واحدة ومن هذه الاحتياطات إجراء التلقيح فور أخذ الحيوانات المنوية من الزوج.

تجنب المفاسد الأخلاقية ، في التعامل مع البييضات الاحتياطية الملقحة فإن إتلافها محضور شرعا لأن مآلها إلى الحياة الإنسانية ، فتترك حتى تتلف بنفسها.

(*) مقتطف من مقال نشر للباحث بالعدد 18 من مجلج «الإحياء»

عالمية الإسلام من خلال القرآن

إعداد الأستاذ: مراد الخروبي

أتى على الجزيرة العربية حين من الدهر عمت خلاله الفوضى الاجتماعية في وسط بلاد العرب حيث ساد التناحر الطبقي بين مختلف القبائل والفصائل، والأسر والعشائر، واشتعلت نيران الحروب لأتفه الأسباب كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء وغيرها، واستمرت بعضها لفترة طويلة بلغت أحيانا سنين عديدة.

يقول الأستاذ بطرس البستاني في هذا الصدد مايلي:

كان للعرب حروب كثيرة، أو هي غزوات غير منظمة، يجعلون من أيامها مادة لفخرهم وإخزاء أعدائهم. وكثيرا ما كانت تقع من أجل النهب والسلب أو مزاحمة على الماء والكلإ، ومنها ما كان يحدث لأسباب تافهة تعظمها عنجهية البدوي كحرب البسوس التي نشبت لمقتل ناقة، وكان الدافع إليها الحفاظ على الجوار، وحرب داحس والغبراء التي أفضى إليها التنافس في الرهان بين سيدي القبيلتين.وقلما وقعت حرب لدفع عدو غريب كحرب ذي قار بين الفرس وبني بكر، وحروب اليمن والأحابش، وإنما كانت حروبهم في الغالب داخلية قبلية، إذا خرجوا بها عن شبه جزيرتهم فإلى تخوم العراق والشام ليتقاتلوا في سبيل كسرى وقيصر(1).

أما عن الجانب الاجتماعي الآخر، فيلاحظ ضعف العلاقات الودية إلا من بعض الإستثناءات النادرة. وهكذا فقد تبخرت الكثير من القيم الأخلاقية ولم يبق منها إلا القليل كالكرم،وإيجار الضيف، وإغاثة الملهوف..وانعدم في مقابل ذلك الأمن وكثر قطاع الطرق ولصوص الظلام،وانتشر الطغيان وعمت أرجاؤه الأوطان،وعبدت الأوثان من دون الله حتى بلغ عدد الأصنام حول الكعبة وحدها ماينا هز ثلاثمائة وستون صنما (360) أشهرها ودا، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا. بالإضافة إلى الطواغيث الثلاث التي هي اللات والعزى ومناة فضلا عن صنم من عقيق أحمر يده اليمنى مكسورة أدركته قريش فصنعت له يدا من ذهب.

وقد روى ابن الكلبي في كتاب الأصنام أن عمرو بن لحي كان له رئي من الجن فجاءه ذات يوم وقال له إيت شاطئ جدة تجد أصناما معدة، فأوردها تهامة ثم ادع العرب إلى عبادتها،ففعل فكان أول من علم الناس عبادة الأوثان، وهناك رواية في هذا الصدد يضيق المقام عن ذكرها(2).

اضمحلال أخلاق الجاهليين:

وفي مجال الأخلاق يلاحظ المطلع على التاريخ الاجتماعي للعصر الجاهلي ذلك الإضمحلال والتقهقر الذي عم داؤه السواد الأعظم من أبناء ذلك العصر حتى انعدم الإيثار، وساد الاستئثار لدرجة أكل معها القوي الضعيف، واستولى الظالم على حقوق المظلوم، ووئدت البنات أحيانا مخافة العار(3)، وشربت الخمور على رؤوس الأشهاد، وضاعت حقوق الضعفاء كالأيتام والنساء، وانتهكت الحرمات على مرأى ومسمع من الجميع واستبيحت الأعراض وانتشرت خيام البغايا دواتي الرايات الحمر، تدعو إلى الفحش والرذيلة، ونبتت نوادي الميسر بين السكان الأمنين كما تنبت الفطريات والطحالب وسط المروج الخضراء وكثر قطاع الطرق،واختفت القيم أو كادت، وخيم الظلام الدامس على ربوع البلاد والغسق المطبق على الآفاق والعباد.

وفي خضم هذا الجو العكر والأمر المنكر بعث الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم رحمة للعباد ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم بإذن ربهم إلى الصراط المستقيم.

قال تعالى:«يأيها النبئ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا الآية47/سورة الأحزاب).

وقد أتى الفرج من عند الله تعالى بعدما يئس الأخيار الصالحون، وأصبح الكل على شفا حفرة من النار مابين متربص لإغراق ومنتظر لإحراق قال تعالى في محكم الذكر:"واذكروا نعمة الله عليكم.إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها...."الآية:104/سورة آل عمران.

وبمجيء الرسول الكريم (ص) الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين عم الخير البلاد والعباد، وانقشعت دياجير الظلام، وأشرقت شموس الهداية على الربوع، واستيقظت العقول من سباتها، وخشعت القلوب لربها، وهدى الله من شاء من عباده المؤمنين وأصفياءه المخلصين، إلى اتباع دين الحق،وسلوك طريق الصواب، ونبذ تقليد الدواب. (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) الآية:214/سورة البقرة.

ولم يأت النصر بهذه السهولة كما تمنى الكثيرون حيث تطمح كل نفس بطبيعتها إلى الخلود لدواعي السكينة والراحة،بل اقتضت الحكمة الإلاهية والمشيئة الربانية بدل قسط من الكفاح والصبر والجهاد والثبات، وتلك سنة الله في كل زمان ومكان (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) سورة فاطر/الآية:44.

قال تعالى:(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) سورة العنكبوت/الآية:2 وقد كتب الله تعالى على المؤمنين الجهاد لإثبات الدعوة، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

قال تعالى:"كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون)الآية:217/سورة البقرة.

وهكذا استجاب المخلصون لنداء الجهاد فكتبوا ملاحم من النصر بدمائهم الزكية وبذلو نصيبا وافرا من أموالهم النقية (4).

وكل ذلك من أجل وحدة كلمة الإيمان والوصول إلى أعلى درجات الجنان، وتلك لعمري هي التجارة الرابحة التي لن تبور والتي ذكرها الحق سبحانه في كتابه العزيز حيث قال:(يأيها اللذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين)سورة الصف/الآية:14.11.

الهوامش:

1. أنظر كتاب أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام للأستاذ بطرس البستاني الصفحة 24 دار المكشوف ودار الثقافة الطبعة العاشرة بيروت لبنان. أيلول 1968.

2. المرجع السابق الصفحة 27 وقد ورد ذكر بعض هذه الأصنام في القرآن حيث قال تعالى :(وقالوا لاتذرن آلهتكم، ولاتذرن ودا ولا ساعا، ولا يغوث ويعوق ونسرا)الآية:23و24من سورة نوح.

ورد في سورة النجم (أفرءيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيرى..)الآيات9 إلى 22.

3. قال تعالى:(وإذا الموودة سئلت بأي ذنب قتلت)الآية:8و9 من سورة التكوير..

4. الأموال النقية: المقصود بها هنا أموال الحلال، لأن الله طيب ولايقبل إلا طيبا.

تأملات و خواطر

محمد الخضر الريسوني

هل للعلماء إسهام ودور توجيهي في برامج التلفزيون؟

سألني صديق:

. ماهو حجم مساهمة العلماء في برامج التلفزيون؟

. أجبته :

. وما رأيك أنت؟

. أرى أنه لا أثر لأحاديث العلماء ، ولا لأية مشاركة لهم وكأن تلفزتنا تقدم برامجها من بلاد " الوقواق".

إنه في كل تلفزات العالم الإسلامي شرقه وغربه شماله وجنوبه يسهم العلماء فيها بنصيبهم الثقافي والعلمي وتوجيهاتهم لإصلاح المجتمع فلماذا تلفزتنا هي الاستثناء؟ ولولا أن برنامجا واحدا ويتيما تقدمه التلفزة كل جمعة بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بعنوان " ركن المفتي" لما كان هناك شيئ يذكر من البرامج الثقافية والدينية الهادفة إلى نشر التربية الإسلامية بين المشاهدين والمشاهدات ، وفي هذا الصدد أريد الإشارة إلى حادثة واقعية عشتها في السبعينات وتتعلق بسلسة مسرحيات استقيتها وكتبتها بالسناريوا والحوار من مصادر القرآن والسنة، مركزا فيها على المعاملات وعلاقات الآباء بالأبناء ومحاربة الغش والدعوة إلى الفضيلة والأخلاق، وصادف أنني قدمت حلقة في موضوع" معاملة الخدم في الإسلام" ساهم فيها نخبة من الممثلين البارزين ، منهم العربي الدغمي ومحمد الأزرق وعبد الرزاق حكم . رحمهم الله . استوحيت الموضوع بالمشاهدة والمعاينة من تصرف سيدة رأيتها تلقي بمقلاة زيت حار على وجه خادمة بريئة في عمرالزهور ، وساءني المنظر وتأثرت له مما جعلني أتناول الحادثة ، وبعد تقديم المسرحية على الشاشة تم استدعائي من طرف مسؤول في التلفزة الذي قال لي بالحرف:

. بتقديمك مسرحيتك " معاملة الخدم في الإسلام" أراك تعمد إلى إثارة الخدم على السادة.

وفوجئت بملاحظة المسؤول فقاطعته:

. وهل تتبعت وقائع المسرحية على الشاشة؟

. أجابني :

. لم أشاهدها.

. قلت له:

وإذن لماذا تتهمني بمحاولة الإثارة وأنت لم تشاهد شيئا؟

قال لي: لقد أبلغوني بذلك.

وهنا لم أتمالك نفسي فقلت له:

. إسمع سيدي، لتسمح لي أن اتهمك بأنك " بووذينة" ومنذ الآن أخبرك بأنني سأتوقف نهائيا عن تقديم مسرحيات التربية الإسلامية في التلفزة بعد عرض تسعة وسبعين منها طيلة سنتين . 1969 . 1970 .

هذه حادثة صغيرة عشتها في السبعينات مع عقليات شاذة جعلتني أصرف وجهي نهائيا عن التعامل مع نماذج لأشخاص في منصب المسؤولية لا يفرقون بين حديث نبوي وآية من القرآن الكريم، فكيف يؤمل من هؤلاء سماحهم للعلماء تقديم برامج هادفة وثقافية؟

إن أسئلة صديقي العابرة شجعتني حقا لأكتب عن مسار التلفزيون المغربي منذ نشأته وابتعاده المتعمد عن انتاج البرامج الهادفة إلى بعث الأخلاق والفضائل الشريفة بين المواطنين والمواطنات.

تعريف علم الجرح والتعديل

علم الجرح والتعديل ، أو علم : ميزان الرجال ، هو علم يبحث فيه عن أحوال الرواة ومدى أمانتهم ، وثقتهم وعدالتهم وضبطهم، أو كذبهم أو غفلتهم ونسيانهم ، أوفسقهم وبدعتهم.

اي أنه العلم الذي يخدم الغرض الأسمى من إسناد الحديث، إذ به يعرف الثقة الذي تقبل روايته ويؤخذ بحديثه، من المجروح أو غير الثقة الذي ترد روايته ولايؤخذ بحديثه.

من هنا اعتبر هذا العلم، ذا أهمية بين علوم الحديث ، وخص بالعناية الفائقة من علماء الأمة وهو وراء هذه الثروة المباركة من الأحاديث الشريفة، يذب عنها الكذب ، وينقيها من شوائب الدخيل.

تأليف الأستاذ : ابراهيم بن الصديق

وإذا كنا نفخر بأن الإسناد المتصل إلى صاحب الشريعة صلوات الله عليه، هو من خصائص أمتنا المحمدية ، كما قرر ذلك ابن حزم بأدلة وبراهين قاطعة، فالفائدة العملية من ذكر الإسناد، هي التعرف على رجاله ، والتأكد منهم حتى يحصل الاعتقاد أو الظن الراجح بثبوت الخبر الوارد من طريقهم .

ولا يتم ذلك إلا بأن يكون هؤلاء معروفين معرفة تامة تكشف أحوالهم ، وكل ما يتعلق بأدائهم للخبر كشفا واضحا لا لبس فيه ولا خفاء.

وليس هذا بالأمر الميسور ، ولا طريقه بالمعبد، فإن رواة الحديث على مر العصور يعدون بعشرات الآلاف، والعالم الإسلامي من الهند وخراسان وما وراء النهر إلى المغرب والأندلس عالم رحب ، والمطلوب من الناقد المتخصص في هذا الشأن أن يدرس حياة الراوي في جميع مراحلها أي من الولادة إلى الوفاة، ولا مبالغة في هذا ، فإن أول ما يستفسر عنه الناقد: تاريخ ولادة الراوي والسن الذي بدأ فيه التحمل، ثم يبحث عن شيوخه واتصلاته بهم ، وإن كان أحد أولئك الشيوخ قد اختل أو خرف مثلا ، فهل اتصل به بعد أو قبل تغير حاله؟ وهكذا يتتبعه في إقامته وسفره. وما أكثر سفر الرواة وتجوالهم. ولا يكتفي بذلك حتى يبذل مجهوده للتعرف على ما يخفيه من نحلة أو مذهب، ولا يعتبر هذا الاستقصاء كاملا عنهم حتى يقف الباحث على تفاصيله في عين المكان ليخبر عن مشاهد وتحقق، ومع بعد المسافة وصعوبة الوسائل. آنذاك. ندرك مدى ما تحمل العلماء الفن من صعوبة ومشاق ، ومدى ما تحلوا به من صبر ونكران للذات ، ليحفظوا الحديث سالما والشريعة نقية خالصة كما في هذا الوصف الرائع لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وهو يطبق قوله ، صلى الله عليه وسلم، « لا يزال أناس من أمتي منصورين» . الحديث على هذه الفئة ، إذ يقول:

(... من أحق بهذا التأويل من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار، على التنعم في الدمن والأوطار وتنعموا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار... جعلوا المساجد بيوتهم ، وأساطينها تكاهم ، وبواريها فرشهم).(1)وقد ألمع الحافظ ابن حجر إلى أن الله تكفل بحفظ كتابه، ووكل إلى الأمة حفظ حديث نبيه، ولذلك هون عليهم المشاق في سبيل حفظ السنة .

وطريقتهم في الكشف أن يجعلوا متن الحديث غاية، ثم يبدوا في البحث عن الشيخ الذي حدثهم بالحديث، يختبرون عدالته وضبطه، ويلاحظون هيأته وسمته ، ثم يستعلمون عن ولادته وابتداء طلبه وسلوكه ، واتصاله بشيوخه.

قال إبراهيم النخعي: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى هديه وسمته وصلاته ثم أخذوا عنه .

وقال الحسن بن صالح : كنا إذ كتبنا عن الرجل سألنا عنه حتى يقال : أتريدون أن تزجوه؟

وشك جماعة في شيخ هل يصلي أولا؟ فعلموا رجله بالحبر، فلما كان بعد ثلاث . ليال. كشفوا عن الحبر فوجدوه في مكانه، فعلموه أنه لا يصلي، فطرحوا حديثه . وقال شعبة بن الحجاج : سمعت من طلحة بن مصرف حديثا واحدا وكنت كلما مررت به سألته عنه ، فقيل له : لم يا أبا بسطام؟ قال : أردت أن أنظر إلى حفظه، فإن غير شيئا تركته.

ثم إذا انتهوا من الراوي المباشر بحثا وتنقيبا ، انتقلوا إلى شيخه، فإن كان حيا بنفس البلد أو قريبا منه ذهبوا إليه وإن كان غائبا شدوا إليه الرحلة وتقصوا أمره، وإن كان قد مات انتقلوا إلى بلدته ليقفوا على أحواله هناك، وهكذا إلى أن يصلوا إلى الصحابي راوي الحديث.

روى ابن عبد البر في « التمهيد » بسنده إلى نصر بن حماد الوراق، قال : كنا قعودا على باب شعبة نتذاكر الحديث، فقلت : حدثنا إسرائل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء، عن عقبة بن عامر الجهني ، وذكر حديث : من توضأ ثم صلى ركعتين ثم استغفر غفر الله له ... قال نصر : فخرج علينا شعبة فلطمني ثم رجع فدخل، قال: فتنحيت ناحية أبكي ، ثم خرج فقال : ما له بعد يبكي؟ فقال عبد الله بن إدريس : إنك أسأت إليه، قال أنظر ما يحدث به عن إسرائل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر عن النبي ، أنا قلت لأبي إسحاق: من حدثك قال : فغضب ومسعر بن كدام حاضر فقال لي معسر: أغضبت الشيخ. فقلت : ليصححن هذا الحديث أو لأرمين بحديثه، فقال لي مسعر: هذا عبد الله بن عطاء بمكة، فرحلت إلى مكة لم أرد الحج، أردت الحديث فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته، فقال : سعد بن إبراهيم حدثني ، قال شعبة : فلقيت مالك بن أنس. فسألته عن سعد، فقال سعد بن إبراهيم بالمدينة لم يحج العام ، فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم بالمدينة فسألته فقال : الحديث من عندكم ، حدثني زياد بن مخراق، قال شعبة: فلما ذكر زياد بن مخراق ، قلت : أي شيء هذا؟ بينما هو كوفي إذ صار مدنيا إذ صار بصريا ، قال شعبة: فرحلت إلى البصرة، فلقيت زياد بن مخراق فسألته فقال: ليس: الحديث من بابتك، فقلت حدثني به قال: لا ترده فقلت حدثني به ، قال حدثني شهر بن حوشب.

ويروى حديث موضوع في فضائل القرآن ، سورة سورة عن أبي بن كعب ، قال المؤمل بن إسماعيل (حدثني به شيخ، فقلت للشيخ: من حدثك؟ قال: حدثني رجل بالمدائن وهو حي فصرت إليه فقلت من حدثك؟ قال حدثني شيخ بواسط وهو حي فصرت إليه فقلت من حدثك؟ قال : حدثني شيخ بواسط وهو حي فصرت إليه . يعني من المدائن إلى واسط . فقال : حدثني بالبصرة فصرت إليه . إلى البصرة. فقال : حدثني شيخ بعبدان ، فصرت إليه ، فادخلني بيتا فإذا قوم من المتصوفة ومعهم شيخ، فقال: هذا الشيخ حدثني ، فقلت: يا شيخ من حدثك؟ قال: لم يحدثني أحد.، ولكن رأينا الناس رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن.

والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب الحديث والمصطلح والرجال والتاريخ ، وقد قال عبد الله بن المبارك: (لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرز، لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة فلما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه.

مثل هذا التدقيق في التحقق والجلد في التثبت والتحري، أضفي على علماء الجرح والتعديل صبغة الاتقان والضبط والأخذ بالحظ الأوفر من النباهة والتيقظ واستخدام مقاييس النقد الصحيحة، حتى قال الشعبي: لو أصبت تسعا وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدوا علي تلك الواحدة.

ومن هناك لم يكن للزهاد والصلحاء والمعتنين بشؤون أنفسهم، ومحسني الظن بالناس مجال في هذا العلم، بل في علوم الرواية والإسناد بصفة عامة، وقد قال الإمام مالك: (لقد أدركت بالمدينة أقواما لو استسقي بهم المطر لسقوا، وقد سمعوا من العلم والحديث شيئا كثيرا ، وما أخذت عن واحد منهم ، ذلك أنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة واتقان وعلم).

وأسند ابن عبد البر في « التمهيد / 67/1». عنه أنه قال:(لقد أدركت سبعين من يحدث : قال فلان قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، عند هذه الأساطين وأشار إلى مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، فما أخذت شيئا، وإن أحدهم لم أوتمن على بيت المال لكان أمينا، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، وقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه).

واشتهر عن عبد الله ابن المبارك قوله:(إذا وجدت زاهدا في إسناد فاغسل يدك من ذلك الإسناد)

ولذلك كا الأصل عند المحدثين هو التوقف في رواية مجهول الحال وإن كان معروف العين لأن عدالته غير محققة كما تقدم. بل إذا اجتمع في الرجل جرح وتعديل، فالجرح المفسر أولى بالاعتبار كما هو معروف.

فكان هذا العلم مما امتازت به الأمة الاسلامية ولم يعرف له مثيل في تاريخ الأمم الأخرى كما اعترف بذلك المنصفون من الباحثين وأكبروا مثابرة علماء الجرح والتعديل وضوابط منهجهم الصارمة، مع عسر المهمة وتشعب مناحي البحث.

أحكام الإجهاض في الشريعة الاسلامية

(الحلقة الثالثة)

تعاون الفقهاء والأطباء يزيل الخلاف

إعداد الأستاذ: محمد حمان

والأمر الذي لاشك فيه هو أن اختلافات الفقهاء تقوم على أساس عدم تحققهم من بداية الحياة لدى الجنين، فهم بالإجماع يحرمون إجهاض الجنين لما تنفخ فيه الروح ويصبح حيا في رحم أمه عند نهاية الشهر الرابع وما بعد ذلك، لكنهم لايتفقون على التحريم في المراحل التي تسبق هذه المرحلة النهائية، وهنا يمكن أن تتدخل الخبرة الطبية المتخصصة، فإذا ثبت طبيا أن الجنين حي من بداية تكوينه فإجهاضه أمر لايجوز في أية مرحلة من المراحل ومهما كانت الأسباب والدوافع باستثناء إنقاذ حياة الأم.

ومعنى هذا أن الخلاف الفقهي حول الإجهاض هو مجرد خلاف لفظي نستطيع أن نزيله وبكل سهولة بجمعنا للأطباء المسلمين وعلماء الشريعة، وجعل كل من الفريقين يستعين بمعارف الآخر، لأن الطبيب له خبرته وتجربته ووسائله التي لايتوفر عليها الفقيه، كما أن الفقيه له اطلاع واسع على أحكام الشريعة، ويعرف من أسرار التشريع الاسلامي مالايعرفه الطبيب، وهكذا يكون تعاون الجانبين مفيدا جدا وضروريا في عصرنا الحاضر الذي يعتبر عصر التخصصات، فقد ذهب ذلك العصر الذي كان فيه العالم عبارة عن موسوعة علمية يجمع بين ميادين علمية كثيرة، تجده فقيها وطبيبا ومؤرخا وفيلسوفا ورياضيا وفيزيائيا وغير ذلك...

وقد يقول قائل هنا: إن عودتنا إلى ماكتبه أمثال هؤلاء العلماء القدماء عن الإجهاض يغنينا ويحل مشكلتنا، وإجابة لهذا القائل يمكن أن نبين له بالحجة والبرهان بأن ذلك لن يجدينا نفعا، ذلك أن الطب في تطور مستمر، فلم يكن الطبيب في القرن الماضي، مثلا، يملك من الوسائل ما يملكه مثيله الآن، ولم تكن المختبرات المتوفرة، حاليا، موجودة في عهد الرازي وابن سينا والفارابي، فإذا كان طبيبنا المختص اليوم يستطيع أن يتتبع مراحل تكوين الجنين داخل رحم أمه، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنه فإن ذلك كان أمرا مستحيلا في العهود القديمة، لهذا بقيت الخلافات قائمة إلى يومنا هذا بين الفقهاء في الجزئيات التي يصعب عليهم إدراك حقائقها لبعدها عن تخصصهم كمدة الحمل وحياة الجنين، ومن هنا يكون لزاما على الأطباء والفقهاء أن يتعاونوا وأن يزود كل منهم الآخر بما جد ويجد لديه من المعارف والخبرات في ميدان اختصاصه خدمة للصالح العام الذي هو الهدف الأسمى للشريعة الاسلامية، حيث يقول سبحانه في كتابه العزيز من سورة المائدة "وتعاونوا على البر والتقوى".

فلو استعرضنا آراء العلماء في موضوع الإجهاض لما وجدنا بينهم اختلاف جوهريا ينزل إلى العمق ولايسمح بالتلاقي، بل الذي نجده فعلا هو الاتفاق التام على تحريم الإجهاض والتنديد بمن يقدم عليه، وغاية ما اختلفوا فيه هو متى يبدأ المنع ويحرم الفعل ويلزم العقاب؟

فالغزالي، مثلا، وهو من المبيحين للعزل وما في حكمه، يتخذ موقفا حازما وصلبا من الإجهاض، حيث يقول مميزا بين العزل والإجهاض والوأد: "وليس هذا كالإجهاض والوأد، لأن ذلك جناية على موجود حاصل، وله أيضا مراتب، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية، فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا، ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال" الإحياء ج:2. ص:51.

ولا نحتاج إلى البحث طويلا عن أقوال الأئمة الأربعة في موضوع الإجهاض فيكفينا أن نعود إلى كتاب: التشريع الجنائي الاسلامي لعبد القادر عودة، فقد جمع آراءهم وهو يتحدث تحت عنوان: " الجناية على الجنين أو الإجهاض"، حيث قال: "ويرى مالك مسؤولية الجاني عن كل ماألقته المرأة مما يعلم أنه حمل سواء كانت تام الخلقة أو كان مضغة أو علقة أو دما" ثم قال ملخصا وجهة نظر الحنفية والشافعية في الموضوع: "ويرى أبو حنيفة والشافعي مسؤولية الجاني عما تطرحه المرأة إذا استبان بعض خلقه،فإذا ألقت مضغة لم يتبين فيها شيء من خلقه فشهد ثقات أنه مبدأ خلق آدمي لو بقي لتصور، فالجاني مسؤول أيضا" ثم ختم كلامه في تلخيص آراء أصحاب المذاهب الأربعة فقال: "ويرى الحنابلة مسؤولية الجاني إن أسقطت المرأة ما فيه صورة آدمي، فإن أسقطت ماليس فيه صورة آدمي فلا مسؤولية حيث لادليل على أنه جنين..."ج:2. ص:295.

وبتمحيص هذه الآراء يتبين أنها تتفق جميعها على تحريم الإجهاض وتعتبره جريمة يعاقب فاعلها، والشرط الوحيد الذي يشترطونه جميعا هو أن يتبين أن ما أجهض هو نواة لكائن حي، وحتى إذا رأينا الحنابلة ينفون المسؤولية عمن أسقط ماليس بين الخلقة فإنهم يقيدون ذلك بعدم وجود حجة على أن الساقط جنين، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنهم كغيرهم يقولون بثبوت المسؤولية عند انتفاء الشك وثبوت اليقين الذي يمكن أن يأتي عن طريق الخبرة الطبية التي تملك من الوسائل مايجعلها تصل إلى الحقيقة بكل سهولة،بينما يستعصي ذلك على الفقيه، إذ ليس بين يديه إلا نصوص تشريعية عامة يبذل أقصى جهوده الفكرية لاستنباط الأحكام منها، لهذا يكون تعاونه مع الطبيب في مثل هذا المجال أمرا يسهل عليه مهمته، ويبعد عنه الإشكال، ويجعله يصدر حكمه في النازلة وهو على بينة من أمره.

في رتب البيان في إضافة الربوبية ونعت الإلاهية في القرآن

اعلم أن الربوبية إقامة المربوب بما خلق له، وأريد له، فرب كل شيء مقيمه بحسب ماأبداه وجوده، فرب المومن ربه ورباه للإيمان، ورب الكافر ربه ورباه للكفران، ورب محمد ربه ورباه للحمد "أدبني ربي فأحسن تأديبي".

فللربوبية بيان في كل رتبة بحسب ماأظهرته آية مربوبه (من عرف نفسه عرف ربه"، (سبح اسم ربك الأعلى) (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) (اعبدوا ربكم الذي خلقكم) (لهم أجرهم عند ربهم)، وكما يتضح لأولي التعرف رتب البيان بحسب إضافة اسم الرب، فكذلك يتحقق لأولي الفهم وجوه إحاطات البيان بحسب النعوت والتبيان، في اسم الله غيبا في مستجلى الآيات للمومن، وعينا لكامل التقوى الموقن، وجمعا وإحاطة عن بادي الدوام للمتحقق الواجد (قل هو الله أحد الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد)،(وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله،ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم).

والتفطن لرتب البيان في موارد هذا النحو من الخطاب في القرآن من مفاتيح الفهم، وبوادي مزيد العلم.

الاسلام دين الهدى والإصلاح

تهذيب النفس وإصلاحها

(الحلقة الثانية)

إعداد الأستاذ : ميلود المشرفي

إن الدين الإسلامي شرعه الله هداية للمؤمنين ووفق الله من شاء للتمسك به والتحلي بآدابه ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم، سورة الحجرات/ الآية 8.

وقال تعالى ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة، وذلك دين القيمة ، . سورة البينة / الآية "5

إن الدين يأمرنا بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة والخضوع له، وإنه متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، وابدع الكائنات بقدرته ودبرها لحكمته وعمله ، فهو الذي يحيي ويميت.

وإن كان علم الطب قد أتى في عصرنا بالمعجزات الطبية في جميع الأمراض ، لكنه رغم هذا كله فهو عاجز تمام العجز عن علاج بعض الأمراض التي لا يمكن علاجها إلا بإذن الله، وهذا هو السر في وحدة الله تعالى وتدبير شؤونه، وانه هو الذي يعطي ويمنع، والذي يضر وينفع، قال تعالى : « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو ، خالق كل شيء، فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل ، سورة الأنعام / الآية 102 هذا هو الاعتقاد الذي يخرج النفس من ظلمات الجهل، ويرفعها من وهن الشرك ، ويطهرها من دنس الخرافات والأوهام ، فلا تنحط إلى عبادة جماداو انسان أو حيوان كما كان الشأن في الجاهلية، ولا تخضع إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام. قال تعالى: « الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء ، وصوركم فأحسن صوركم ، ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم ، فتبارك الله رب العالمين ، سورة غافر الآيتان : 64 . 65.

والدين بعد ذلك قد فرض على الناس عبادات ، كلها ذات أثر حسن في إصلاح القلوب ، وتهذيب النفوس . فرض الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه خمسا في اليوم والليلة ، وجعل مفتاحها طهارة البدن والثوب والمكان ، الله نظيف ويحب النظافة ، فيقف العبد فارغا من الشواغل موجها قلبه إلى مولاه، نظيف الظاهر، طاهر الباطن يناجي ربه ويثني عليه بما هو أهله، وصدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، حيث قال « من أراد منكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن ، خائفا وجلا من عذابه طامعا في رحمته ، طالبا منه العون والهداية ، فيؤثرذلك في نفسه ، ويعوده مراقبة الله وخشيته ، فيتجنب ما يغضب مولاه، ويمتنع عما حرم الله عليه. « إن الصلاة تنهى على الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون، سورة العنكبوت / الآية:45 وفرض الزكاة في أموال الأغنياء سدا لحاجة الفقراء ، وتفريجا لكربة الغارمين وتيسيرا لأبناء السبيل ، وعونا على المصالح العامة ، كذلك تغرس في قلوب المؤمنين فضيلة السخاء وتطهر أنفسهم من رذيلة البخل والشح، وتخرج الأضغان من قلوب اليائسين وحقدهم على الأغنياء المترفين وتملأ قلوبهم بمحبتهم ، وتمنعهم من الإساءة إليهم، وبذلك يسود الأمن، وبذلك تكون الألفة والإخاء، والتكافل الاجتماعي ، والحكمة من اخراجها تطهير المال واغاثة المحتاجين العاجزين عن وسائل الارتزاق . قال تعالى : «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ، إن صلواتك سكن لهم ، والله سميع عليم، سورة التوبة 103 وفرض الصيام ليربي في الانسان فضيلة الصدق والوفاء ، والصبر عند الشدائد ، وقوة الإرادة وضبط النفس عند هيجان الشهوة ، والعفة والقناعة، والأمانة والعطف على الجائعين، ويعرفه مقدار النعمة ليشكر مولاه على الفضل بها « من كان في نعمة ولم يشكر ، خرج منها ولم يشعر».

وقال أحد الشعراء:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فإن المولى سريع النقم

قال تعالى «ولتكملوا العدة ولتكبرو الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون، سورة البقرة / الآية 185 وأما الحج فالناس اشبه فيه بالموتى ، يفارقون أموالهم وعيالهم، وينتقلون إلى غير ديارهم متجردين عن زينة الحياة الدنيا، ليس على الواحد منهم إلا إزار ورداء، بالنسبة للذكور والكل خاضع لعظمة الله ، خاشع لجلاله، لا فرق بين صغير وكبير- ممن وصل سن التكليف بالنسبة للصغير- وغني وفقير، هنالك تطمئن النفوس ، وتعلم أن زخرف الحياة باطل. وان المال ظل زائل. وهناك تشعر النفس بالمساواة والتواضع. وماأصدق حكمة الفقيه الشيخ الذي نصح من قصده ليعلمه التواضع ، فقال له : « إذا رأيت من هو أكبر منك سنا فقل : سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح هو خير مني ،وإذا رأيت من هو أصغر منك سنا ، فقل: أنا سبقته إلى الذنوب والعمل السيء هو خير مني، فترتاح نفسك وتتلذذ بلذة التواضع.

ومن أصدق ما قاله أحد الشعراء الصوفية في التواضع:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على طبقات الماء وهو رفيع
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه
إلى طبقات الجو وهو وضيع

اضف إلى ذلك أنه لا يليق الاستعلاء الاستكبار بجاه ولا مال . وإن الناس كلهم لأدم وأدم من تراب. « إن اكرمكم عند الله أتقاكم ، سورة الحجرات/ الآية 13.

كذلك الدين حرم كل ما يفضي بالناس إلى ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء ، أو يفسد العقل ويحط من كرامة المرء ويذهب بحيائه وماله، كالقتل «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنى «ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا، والقذف وشرب الخمر . سئل أعرابي في العصر الجاهلي لماذا لا تشرب الخمر؟ فأجاب: لا أشربها لثلاث خصال فالخمر مذهب للعقل، متلف للمال ، مسقط للمروءة، وسئل أعرابي كذلك في نفس العصر فاجاب « لا أحب أن يضحك علي ابن امرأة ، وهذا قبل تحريم الاسلام لها ، فكيف وقد حرمها الاسلام تحريما قاطعا لأن النبي ، صلى الله عليه وسلم، قال: « الخمر أم الخبائث. « والله يقول: « يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ». وكذلك لعب القمار والربا والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ، سورة البقرة / الآية : 188.

والغيبة والنميمة ، والخيانة والغدر ، والضغينة والحسد، وكل ما فيه إيذاء الناس .

فالاعتصام بالدين يهذب النفس، ويطهرها من الرذيلة وسوء الخلق ويظهر أمر ذلك في المعاشرة والمعاملة ،ألم يقل الحبيب عليه الصلاة والسلام : « الدين المعاملة»؟ فمن كان متمسكا بدينه واقفا عند حدوده حسنت معاشرته واعتدلت معاملته، فيبر بالوالدين لأن الله أوصى بهما وجعلهما في الدرجة الثانية بعده. فقال : واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهر هما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ، سورة الإسراء / الآية: 24،23.

ويواسي اخوانه وأقاربه ويقوم بحقوق أهله، ويربي أولاده وينقف عقولهم ثقافة روحية، ويهذب اخلاقهم ، لا يؤذي جارا ولا أحدا في نفس أو مال أو عرض ، قال الرسول ، صلى الله عليه وسلم، في الجار» مازال الله يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ، و لا يكون لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ، الغيبة والنميمة تاكلان الحسنات كما تاكل النار الحطب» ويقول تعالى « ولا يغتب بعضكم بعضا ، سورة الحجرات ولا حقودا ولاحسودا ، يقول تعالى « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله».

والمسلم المتدين لا يغش إذا باع أواشترى « من غشنا فليس منا ، ولا ينقص مكيالا ولا ميزانا لأن الله يقول : «ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الايظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . « سورة المطففين من الآية (1 إلى5).

ولا يكذب إذا حدث ، ولا يخلف إذا وعد ، ولا يخون إذا اؤتمن ، قال ، صلى الله عليه وسلم، « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان» ولا مختالا ولافخوا: قال تعالى : « ان الله لا يحب كل مختال فخور « سورة الحديد الآية 23.

ولا جباراولا عنيدا ، ولا يماطل في حقوق الناس . والمسلم المتدين إذ وكل إليه عمل اتقنه وأداه على الوجه الأكمل من غير تسويف ولا تأخير . وإذا ولي على الناس عدل فيهم ونظر في مصالحهم ، ليس لغير الحق سلطان على نفسه، فلا يجابي قويا ، ولا يضيع حقوق الضعيف، فهو مَلَكٌ كريم في صورة انسان رحيم، يقول الله عز وجل: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين، آخر آية من سورة العنكبوت.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيه معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر».

لا ينفعنا في دنيانا وآخرتنا إلا الاستقامة وصالح الأعمال مع صدق الإيمان. قال تعالى: « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون «سورة النحل / الآية: 97.

وفي الحديث القدسي عن رب العزة: قال الله تعالى: ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي « فالذين يهملون طاعة الله تعالى اتكالا على كرمه وسعة رحمته قد لعب الشيطان بعقولهم وغرهم بالله. نعم انه كريم واسع الرحمة ، ولكنه حكيم جعل كرمه ورحمته لمن امتثل الاوامر وا جتنب النواهي . قال تعالى « ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم بآياتنا يومنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي سورة الأعراف / الآية 156.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة

العدد 971

السنة 35

الجمعة 12 شوال 1422 هـ

الموافق 28 دجنبر2001 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

رقم الإيداع القانوني: 1994/160

الترقيم الدولي:ISSN: 4348

الاشتراكات السنوية

داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01

وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة

العنوان:107- شارع فال ولد عمير.

رقم 7- أكدال - الرباط

الهاتف: 51 03 67 037

الفاكس: 93 45 67 037

السحب:

مطبعة فضالة- المحمدية - المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية وتعبر عن آراء أصحابها

طبع من هذا العدد 4000 نسخة

ميثاق
الرابطة
العدد 971 الجمعة 12 شوال 1422 هـ .الموافق 28 دجنبر 2001م

وجه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس رسالة إلى المشاركين في ملتقى حوار الأديان الذي افتتحت أشغاله يوم الاربعاء ببروكسيل في موضوع "سلم الله في العالم"

وفي مايلي نص هذه الرسالة التي تلاها السيد عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية:

"الحمد لله رب العالمين والسلام على جميع أنبيائه المرسلين،

أصحاب السمو والمعالي والفضيلة،

حضرات السيدات والسادة،

يطيب لي أن أتوجه إليكم في افتتاح أعمال هذا الملتقى الهام بتحية السلام وعبارات الإشادة والامتنان لكل من البطريركية المسكونية التي قامت بهذه المبادرة المباركة في تنظيم هذه الندوة حول حوار الأديان تعبئة منها لكل الارادات النيرة من ممثلي الاديان الثلاثة للتصدي لما يتهدد عالم اليوم من مخاطر.

كما أعرب عن إشادتي برعاية الاتحاد الاوروبي لهذه الندوة ولما يبذله من مساع دؤوبة لصيانة السلام والدعوة إلى التفاهم والحوار وإشاعة روح التعاون والتضامن، معبرا عن عميق اعتزازي بدعوتهم إياي لتوجيه رسالة افتتاحية لأشغال هذه الندوة اعتبارا للعناية البالغة التي أوليها لكل عمل يستهدف التقريب بين الأديان والحضارات والتآخي بين الناس.

إن ملتقاكم هذا يكتسي أهمية خاصة بانعقاده في هذا الظرف بالذات الذي تتعاظم فيه الشكوك وتتزايد التساؤلات وتحف به المخاطر، فالتئام جمعكم الموقر يعتبر، إذن، أمرا محبذا أكثر من أي وقت مضى لما يجسده من حرص على ربط اسم الله تعالى بالسلام الذي هو من صفاته الحسنى ومن رغبة في أن تستعيد الديانات السماوية إشعاعها الحقيقي في مجال الحوار والاحترام للآخر والتحلي بمكارم الاخلاق.ولذا يسعدني في هذا المحفل النبيل أن أسمع صوت المغرب وصوت ملكه أمير المؤمنين في التشبث بما جاءبه الإسلام من قيم العدالة واحترام الحياة والتضامن الإنساني والإصغاء للآخر.

وإن الافصاح عن هذه المعتقدات بالنسبة للمغرب ليس من قبيل الأدبيات الأكاديمية او التنظيرية، بل هو تعبير ملموس عن حياتنا نحن المغاربة كما نعيشها كل يوم باعتبارها من المقومات الثابتة للمجتمع المغربي الذي عرف عبر تاريخه العريق كيف يحافظ على دينه مفهوما وممارسة ويتجاوب مع زمانه ومايفرزه كل عصر من إكراهات دون التفريط في أي قيمة من القيم الإنسانية التي لم يفتأ المغاربة يستلهمونها ويستنيرون بها.

فالموقع الجغرافي للمغرب جعله ملتقى للتعددية الثقافية والحضارية منفتحا على ثقافات الشعوب المتوسطية خاصة والاخذ باللائق من حضاراتها دون حرج في معايشة هذه التعددية إيمانا منه بكونها قوام غناء الحضاري. وهذا مامكن بلدنا من أن يضطلع بدور مهم في محيطه الجهوي والعالمي ومن أن يستجيب كلما دعا إلى ذلك وبكل ما في وسعه للاسهام في أي مبادرة دولية لتحقيق السلام والقضاء على التوتر ودعم أي مفاوضة أو حوار لإحلال السلم محل النزاع.

وإن التاريخ المعاصر ليسجل باعتزاز أن والدي المنعم جلالة الملك الحسن الثاني. قدس الله روحه. كان رائدا في انتهاج سبل الحوار ثاقب النظر في كل مواقفه متشبثا بالقيم الروحية والانسانية وتحكيمها في كل النزاعات الدولية جاعلا من الحوار والاعتدال والجنوح للسلم ومناصرة الحق قوام مذهبه في الحكم واضعا مكانته الروحية والزمنية كملك أمير المؤمنين في سبيل ترسيخ ثقافة الوفاق والتفاهم والتعايش بين الأمم والشعوب مما جعله. رحمه الله. مثالا يحتذى به ومرجعا في التقريب بين الأديان والحضارات والثقافات وبذل المشورة والرأي السديد في كل المعضلات بما شهد به الجميع بمن فيهم الذين كانوا خصوما ثم أقروا بما كان لجلالته من بعد نظر وصواب وحكمة وريادة.

حضرات السيدات والسادة:

لقد كثر الحديث عن صدام الحضارات الذي قيل أنه سيطبع القرن الحادي والعشرين مثلما تميز القرن التاسع عشر بالمواجهات بين القوميات والقرن العشرون بصراع الإيديولوجيات، إن هذا الطرح الذي تغذيه وتؤججه كل المخاوف إنما هو فخ يحاول أن يوقعنا فيه من يرفضون مواجهة المعضلة الحقيقية التي يطرحها زمننا المعاصر زمن الاذعان لمنطق الهوة الروحية والفلسفية الذي يندر بالسقوط في الكمين الذي نصبه الاعداء الحقيقيون للعقيدة سواء كانت عقيدة اسلامية أو يهودية أو مسيحية.

وإن الذين يحاولون تأليب بعضنا على البعض واستعداء ثقافة على أخرى ودين على دين هم دعاة الظلامية والتقهقر الذين يحاولون أن ينسونا أن الديانات السماوية التي هي جميعها جوهر رسالة إبراهيم الخليل، عليه السلام، في الإيمان بالله الواحد الأحد قد جاءت كلها برسالة الانقاذ للإنسانية والعمل على تقدمها المناهض للهمجية والعنف والتطرف.

إن كل شعب ذي دين وحضارة يمكنه بل يجب عليه أن يكون فخورا بما حققه للبشرية من إشراقات.كما يجب عليه أن يقف على جوانب ظله متسائلا بصوت جماعي: ماذا يمكن قوله بخصوص الجرائم التي اقترفتها العديد من الحضارات والتي لم يتجنبها إلا القليل منها فالكثير من الحضارات أطلقت العنان في فترة من فترات تاريخها لنزعة الحقد والكراهية.

وإن استحضار الماضي ليعد شجاعة وواجبا في نفس الوقت على كل حضارة تحترم نفسها. فالإخلاص لقيمنا حتى عندما تتهددنا الديماغوجية والشعبوية والجهل هو قوتنا ومنبع هويتنا وافتخارنا. كما أن مقاومة الذين يتاجرون باسم الدين هي أمانة ملقاة على عاتقنا.

أجل ان أجدر الناس بالحوار اليوم لهم الذين يشتركون في الايمان بالله الواحد وبالكتب السماوية المنزلة التي أكدت كلها مسؤولية البشر جميعا أمام خالقهم يوم الجزاء ومساواتهم في ما بينهم وأن الله تعالى جعلهم مختلفين شعوبا وقبائل وألوانا ولغات ليتعارفوا لاليتناكروا، كما أدانت تلك الكتب المقدسة الظلم والعدوان في كل صورهما داعية إلى التآخي والتضامن في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.

فهذه القيم المشتركة بين أديانا كلها تمكننا إن نحن استطعنا تفعيلها في سلوكنا السياسي والاجتماعي والثقافي من أن نضع عالما جديدا ينعم بالامن والاستقراروالتفاهم والوفاق. وأعتقد أن ملتقاكم هذا إنما تم في سياق استشعاركم للضرورة الملحة لتفعيل هذه القيم.

حضرات السيدات والسادة:

إذا كان الذين شاركوا في هذا الملتقى قد عبروا بصدق وإخلاص عن دعوة الإسلام إلى السلم والحوار والتعايش الإنساني الأمثل فإني أبى إلا أن أؤكد ماسبق توضيحه وهو أن الاسلام يجسد هذه القيم كلها جوهرا ومنهجا في خطابه وذلك بدعوته الواضحة في القرآن الكريم إلى الحوار بالمنهج العقلاني في قوله تعالى:"قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءبيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله"صدق الله العظيم.

ولذلك أصبح لزاما على كل مهتم بالحوار الديني اليوم من جانب غير المسلمين أن يطلع على القيم الاسلامية في مصادرها الثابتة وعلى تاريخ الاسلام الحضاري الذي رسخ تلك القيم في مجتمعاته ولاسيما المجتمعات التي اختلط فيها المسلمون بغير المسلمين في الشرق أو في الغرب. وهذا هو المنهج الموضوعي لادراك صورة الإسلام الناصعة وعدم الانخداع بما تروجه بعض وسائل الاعلام المغرض من مزاعم إلى حد رمي الاسلام بكونه دين الارهاب والعدوانية والتعصب انطلاقا من ممارسة الاشرار المتطرفين المنحرفين عن جادة الاسلام الحق الذين لم يخل أي دين من أمثالهم. فالحوار بين الأديان يجب أن ينطلق من المعرفة الصحيحة ومن الحكمة والتبصروالتواضع لأن الاستعلاء والكراهية والتعصب هم أعداء كل حوار هادف وبناء.

إن الحوار بين الأديان هو الوجه الآخر للحوار بين الحضارات والثقافات، وهو من مسؤولية جميع المؤمنين مثلكم بأن الحضارات الانسانية لم تكن أبدا في موقع الصراع في مابينها لأنها كانت على الدوام حضارات متكاملة في ما بينها ومتفاعلة ومتلاقحة إلى حد أنه لم توجد حضارة منغلقة على ذاتها أو مستغنية عن عطاءات الحضارات الأخرى.

وإذا كانت الحضارات كلها قد انبثقت من ينبوع العقيدة الدينية أو ما يماثلها فإن الحوار بين الأديان الذي يعد خير مدخل للحوار بين الحضارات والثقافات يستلزم انفتاح العقل والخيال كما يتطلب التحلي بروح المسؤولية وقوة الايمان وبالإرادة القوية في مقاومة كل ما من شأنه أن يمس حريات الافراد وحقوقهم باعتبارهم ينتمون إلى نفس المجموعة البشرية.

وإنني لأستحضرفي هذا الصدد وبكل مرارة من موقع مسؤوليتي كرئيس للجنة القدس الشريف المنبثقة عن منظمة المؤتمر الاسلامي ماتعانيه مدينة السلام وملتقى الاديان الثلاثة مدينة القدس الشريف،معبرا عما ينتاب كل المؤمنين اليوم من مشاعر الأسى والاحباط من جراء الممارسات العدوانية للحكومة الاسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني الشقيق المتنافية مع القيم الدينية والأوفاق الدولية، داعيا جمعكم الموقر إلى الوقوف بجانب هذه المدينة الجريحة باعتبارها مدينتنا جميعا من منطلق حرصنا على أن تظل مدينة للتآخي بين الأديان والتعايش النموذجي بينها، واعتقد أن ملتقاكم هذا قد استشعر المسؤولية الجسيمة الملقاة على كاهلنا جميعا في أن يجعل من كل ملتقى أو ندوة حول حوار الاديان والحضارات بمثابة خطوة جديدة تنطلق مما رسخته الخطوة السابقة بل وتضيف إليها لبنة أو لبنات في بناء صرح التفاهم والتعايش الإنساني.

وهذا ما عبرت عنه في اجتماع المنتدى المتوسطي الذي انعقد بأكادير لبلورة موقف مشترك من أسباب وتداعيات الاعتداءات الأثمة لحادي عشر شتنبر الماضي، حيث أكدت على ضرورة قيام حوار دائم ومهيكل واستراتيجي بين كل الدول يقوم على أساس احترام حقوق الانسان في الحرية والكرامة والعيش الآمن دونما تمييز بين الأجناس والأديان والثقافات والأوطان والعمل على إخماذ كل بؤر التوترالمشتعل ومكافحة التعصب المدمر للاستقرار والسلام في العالم حيثما كان.

وفي هذا السياق أود أن أجعل خاتمة رسالتي إليكم اقتراح انعقاد ملتقى موسع للحوار بين الأديان والثقافات خلال السنة المقبلة بالمغرب.

وستسعد المملكة المغربية أرض الحوار واللقاءات باحتضان هذا الملتقى لمواصلة العمل وتعميق أسس التفاهم واستتباب السلم والحوار على أن يتوج هذا الملتقى بصياغة ميثاق أخلاقي بين الأديان السماوية من شأنه أن يرسخ العمل بكل القيم المشتركة بين أديانا ويجسد تطلع شعوبنا على اختلاف مذاهبها إلى بناء غد آمن تنعم فيه البشرية جمعاء بالسلام والطمأنينة.وستجدون دوما في المغرب وفي ملكه أمير المؤمنين بما عهدتموه فيه من تشبع بالقيم الدينية والإنسانية المثلى للحرية والسلم والاخاء والتضامن بين الناس وصيانة كرامتهم خير سند ومعين على مانتوخونه من لقاءاتكم التي أبارك مقاصدها النبيلة سائلا الله جلت قدرته لكم التوفيق والسداد لنيل رضوانه تعالى وثوابه على خدمتكم للإنسانية وتحقيق وحدتها الروحية وسعادتها الابدية.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وحرر بالقصر الملكي العامر بالرباط يوم الثلاثاء 2 شوال 1422هـ.
موافق 18دجنبر 2001م.